الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العـــالي والبحث العلمـــي
جامعــة غرداية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرحلات النظمية فـي الجزائـر العثمـــانيـــة

مذكرة مُقدمّة لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطـالبة:
هوارية عاشور

إشراف الدكتور:
صالح بوسليم

المشرفة المساعدة الأستاذة:
سعاد آل سيد الشيخ

الموسم الجامعي: 1436-1437هـ

2014-2015 م

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رسول الله ﷺ :

« لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا

وَمَسْجِدُ الحَرَامِ وَالمَسْجِدُ الأَقْصَى»

الإهـــــــداء

بسم الله الرحمان الرحيم

الاهي لا يطيب الليل إلا بذكر ولا يطيب النهارإلا بشكرك ولا تطيب الدنيا

إلا برعايتك ولا التوفيق إلا بك سبحانك لا أحصي ثناء عليك.

إلى الوالدين الكريمين:

نتقدم بالشكر إلى أحب وأغلى ما نملك في الدنيا إلى الأم الكريمة التي صبرت

عناء المشقة حتى نتعلم والقلب المشرق الذي يمدنابالحنان والدعاء .

إلى أحب وأغلى ما كنا نملك إلى الأب الكريم الذي كان بمثابة القلب النابض لنا

والصدر الطيب الذي تحمل عناء الدرب حتى نصل إلى هذه الدرجة

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وحشره مع الأنبياء والصالحين آمين.

إلى روح أعمامي وعمتي وأجدادي تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جناته الذين كانوا لنا السند القوي في السراء والضراء.

إلى الإخوة والأخوات:

اقدم هذا المجهود إلى إخوتي وأخواتي : الوجه المشرق بوجمعة وفاطمة والعالية والزهرة ومختار وقويدر وبنات أختي العزيزات مريم وفاطمة وراضية وسميرة وكلثوم وعقبة وبلال.وأولاد إخوتي حميدة وعبد الجليل حمزة ومحمد عبد المالك و كريمة. إلى كل أفراد عائلة عاشور كل واحد بأسمه وكل زميلاتي وزملائي في العمل وفي الجامعة.

الشكـــــر والتقديـــــر

((رَبِّي أَوْزِعْنِي اَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الْتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَ وَأَنْ اَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ)) الآية 18 من سورة النمل.

((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أستاذ وأستاذة في قسم التاريخ درست عندهم من بداية التدرج إلى الذي كانت عنده أخر حصة في ماستر تاريخ حديث ومعاصر بدون استثناء جزاهم الله كل خير .

إلى أعوان المكتبات وخاصة مكتبة الشيخ الأخضر الدهمة

إلى الأستاذ المشرف الدكتور صالح بوسليم وإلى الأستاذة مساعدة المشرف

أل سيد الشيخ سعاد

اللذان لم يبخلا علي في تقديم العون الإرشادات اللازمة لإكمال

بحثي وإتمامه بالكيفية اللازمة فجزاهم الله خير الجزاء.

كما لا ننسى الأستاذة الفاضلة رحيمة بيشي بالشكر والتقدير.

كما نشكر مؤسسة شريف عبد الرحمان رحمه الله – خدمات الإعلام الآلي بمتليلي على مساعدتهم في طباعة هذه المذكرة وأخص بالذكر الأخت الفاضلة سعاد زيان

كما نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا وأرشدنا إلى مرجع وأعارنا كتاب ونشكر مناقشي هذه المذكرة على تفضلهم بقبول المناقشة .

(هوارية)

قائمة المختصرات باللغة العربية :

قائمة المختصرات	المعنى
ط	طبعة
ط خ	طبع خاصة
ج	جزء
مج	مجلد
ص	صفحة
ب ت	بدون تاريخ
ت	ترجمة
ت ح	تحقيق
ت ق	تقديم
ع	العدد
هـ	هجري
م	ميلادي
غ م	غير منشورة

قائمة المختصرات باللغة الفرنسية :

Page	**P**
Volumes	**V**

مقدمة

بعد أن ألحقت الجزائر كمعظم أجزاء الوطن العربي في الدولة العثمانية في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، عمد الكثير من العرب والمسلمين إلى شد الرحال في مشارق الأرض ومغاربها حبا للمغامرة والإطلاع أو هروبا من السلاطين أو طلبا للعلم خاصة أن الجزائر في العهد العثماني لم تكن تتوفر على مؤسسة التعليم العالي، مما ترتب عليه هجرة الراغبين في طلب العلم قاصدين البلاد العربية والإسلامية.

ولم تكن هذه الرحلات حديثة العهد العثماني فقد سبقت هده الفترة برحالات أشتهر أصحابها كرحلة ابن بطوطة ورحلة ابن جبير ورحلة الورجلاني وغيرها من الرحلات التي دونوا من خلالها شواهد تاريخية وجغرافية عبر أقطار عديدة، والإيالة الجزائرية كغيرها من أقطار المغرب الإسلامي شهدت رحالات تنوعت مجالاتها برحالات حجازية ومغاربية وأخري حطت رحالها في الصحراء الجزائرية شملت مجالات إخبارية واسعة، هذه الرحالات في مجملها لم تكن كلها نثرية بل هناك نوع من الرحلات المنظومة التي اكتفى أصحابها بنظم رحالاتهم في قصائد مطولة تعددت أغراضها بين المدح والوصف وغيرها من الألوان التي تغنوا بها في عجائب أسفارهم، من ذلك كان موضوع دراستنا الرحلات النظمية في الجزائر العثمانية.

ما أدى بنا إلى البحث والدراسة في هذا الموضوع الذي نال حظا من اهتمامنا دافعين:

أولا: ذاتيـة:

- الرغبة في الدراسة والبحث والتعمق في المواضيع التاريخية.
- ولعنا الشديد بالرحالات والأسفار والتطلع للمعالم الأثرية العمرانية.
- إحياء للتراث التاريخي الذي تركه السلف والبحث عن المجهول لنزيح عنه الغموض ويعطي انطلاقة لمواصلة الركب التاريخي.

- كما كان هذا دعما من أساتذتنا وتحفيزهم لنا لدراسة مثل هده المواضيع.

ثانيـا: موضوعية:

الرحالات في الجزائر العثمانية من المواضيع التي خاض فيها الكتاب الأوربيون والمغاربة، إلا أن هذه الحقبة التاريخية لا تزال يكتنفها الغموض كون أغلب الدراسات قام بها رحالة أوروبيون من تجار وقناصل لم تكن كافية للإطلاع على أحوال البلاد، من الجدير بنا الالتفاتة إلى الرحالات المحلية التي توضح لنا صورة أقرب إلى الحقيقة خاصة أن الرحلات المنظومـــة في هذه الحقبة التاريخية تعتبر كـــوثيقة تاريخية.

كما قال **ابن زكور الفاسي**:« الرحلة من الله نحلة تكسب الغليظ الطباع غاية الرقة والانطباع وتعقب من كابد لها نصب علما غزير وأدبا»، الهدف المتوخى من الدراسة إبراز دور الرحلات النظمية في الجزائر أثناء الفترة العثمانية وباعتبارها مصدرا من المصادر التاريخية لما لها من إشارات وأخبار ساعدت الباحثين والمؤرخين لمدة تجازوت الثلاثة قرون ولا تزال أثارها قائمة إلى وقتنا الحالي.

تمت دراسة موضوع الرحلات النظمية في الجزائر العثمانية في الفترة العثمانية وخصصنا في كل قرن رحالات حسب التسلسل الزمني والرقعة الجغرافية.

وانطلاقا من هذا يتبادر إلى ذهن البـاحث التسـاؤلات التي تجسدت الأولى منهـــا بالإشكاليات العامة:

كيف تمثل أدب الرحلات في الجزائر العثمانية؟ وما نوع الرحلات التي جالت أقدامها في الجزائر أثناءها ؟

- وما هو أدب الرحلة ؟ وأبرز تطوراته في الجزائر أتناء الفترة العثمانية؟

- وما هي أهم الرحلات الداخلية والخارجية التي تمت في الجزائر؟ وأهم روادها؟

- ما مدى مساهمة الشعر الفصيح والملحون في الرحلات الجزائرية الحجازية؟

- وما القيم التاريخية الإخبارية للرحلات النظمية في الجزائر الفترة العثمانية؟

تتبعنا في دراستنا منهجين:

المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية وعرضها حسب التسلسل الزمني والمكاني والمنهج التحليلي الذي اعتمدنا عليه في تحليل الوقائع التاريخية والظواهر الاجتماعية.

على المؤرخ أن يكون موضوعي،كما لا نخفي عليكم أن في بداية الأمر كنت أعتقد أنه لا وجـــود لدراسة أكاديمية حول هذا الموضوع إلا التحقيقات في مخطوطات الرحلة، وإذا بالأستاذة الفاضلة تشير عليّ بوجود دراسات من بينها مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر للطالب سليمان دهان بعنوان "ركب الحج الجزائري في العهد العثماني" من خلال نصوص الرحالة، ودراسته هذه مخصصة بركب الحج الجزائري في العهد العثماني، أما الدراسة الأخرى متعلقة بالمؤسسات الثقافية في الجزائر من خلال نصوص الرحالة المغاربة للطالبة أم الخير مداح، بينما أنا دراستي انصبت على الرحلات الـتي شاهدتها الجزائر أثناء الفترة العثمانية وذكرت بعض النماذج للرحلات، وتعرضت في دراستي بصفة خاصة للرحلات النظمية سواءا منها الفصيحة والملحونة.

كان للمؤرخين والكتّاب قصب السبق في البحث في موضوع الرحلات في الجزائر العثمانية من بينهم شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله من خلال كتابه "تاريخ الجزائر الثقـافي" في بعض أجزائه، مولاي بلحميسي في كتابه " الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"، إضافة إلى ذلك التحقيقات في مخطوطات الرحلات التي قام بها الكتاب منهم: عبد الكريم الفلالي الذي حقق في رحلة الزياني وعبد الله كروم من خلال دراسته عن الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، وسعاد آل سيد الشيخ من خلال تحقيقها لرحلة المجاجي.

لدراسة موضوع الرحلات النظمية في الجزائر العثمانية قسمت بحثي إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول وأدرجت في الفصل الأول مبحثين أما الفصلين الآخرين ثلاثة مباحث وبدأتها بمقدمة وأنهيتها بخاتمة أما الفصل التمهيدي تعرضت فيه **لأدب الرحلة في الجزائر العثمانية**، أفردت الإحاطة فيه بتعريف مصطلح الرحلة وأدب الرحلة وتطوراتها بداية من العصر القديم معرجين على عصر الإسلام وصولا إلى العصر الحديث، وما تحتوي عليه الرحلة من أنواع من بينها الرحلة الحجازية والعلمية والسياسية أو السفارية والاستطلاعية للفترة المستهدفة للدراسة.

أما الفصل الأول فخصصته للكلام عن **نماذج من الرحلات في الجزائر الفترة العثمانية** تعرضت فيه للرحلات الداخلية التي جالت أقدامها القطر الجزائري ذكرت منها "رحلة الباي مُحَمَّد الكبير من خلال التعريف بشخصيته وبالرحلة التي قام بها في الجنوب الجزائري (الأغواط) أواخر القرن الثامن عشر والقيم الإخبارية للرحلة، وابن الذين الأغواطي بنفس الحيثيات التي درست بها رحلة مُحَمَّد الكبير، ورحلة سيدي عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني التي قام بها إلى الجزائر العاصمة التي صادفت حملة اللورد إكسموت، أما في الرحلات الخارجية تطرقنا من خلالها إلى رحلة المقري ورحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي إضافة إلى رحلة أبي رأس الناصري، وإن كانت هناك رحلات أخرى اشتهرت ولم نتعرض لها من جانب أن بعض الدراسات الأخرى تعرضت لها بشيء من التفصيل.

الفصل الثاني كان محور موضوع دراسته **الرحلات النظمية من خلال الشعر الفصيح**، وقبل الغوص في الرحلات درست جانبا من مجلات الشعر الفصيح في الجزائر الفترة العثمانية، لماله دور في إبراز الأحداث الماضية، ثم بعده الرحلات المنظومة بالشعر الفصيح منها رحلة عبد الرحمان المجاجي ورحلة إبراهيم بحمان المصعبي مع استخلاص أهم القيم الإخبارية المستقات من كلتا الرحلتين.

كان محور الفصل الثالث **الرحلات النظمية** من خلال الشعر الملحون، تعرضنا فيه إلى الشعر الشعبي مجالاته وعوامل ظهوره في الجزائر الفترة العثمانية وخلصنا إلى رحلتين منظومتين بالشعر الملحون مستلهمتين من الغرب الجزائري رحلة أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التي تزامنت نهاية القرن

السابع عشر ميلادي ورحلة أبو عبد الله مُحَمَّد بن مسايب التي اعتبرت مصدر تاريخي جغرافي للمغرب الإسلامي والحجاز فترة أواخر القرن الثامن عشر وانهينا هذا الفصل بخلاصة.

لا يخلو أي بحث من الصعوبات ما واجهنا في هاته الدراسة البحث عن المصادر الخاصة بالموضوع في المكتبات والتي تفتقد للكثير منها وحتى إن وجد البعض فيتعذر علينا إخراجها، المداومة اليومية في أوقات العمل ضيقت علينا فترة البحث، والسبب العويص الذي أثر علي بصفة مباشرة وفاة الوالد العزيز وأنا في صلب التحضير لموضوعي حتى كدت أن أتوقف عن إتمامه.

حتى يحقق البحث أهدافه ويستوفي شروطه لابدا من تديله بثروة فكرية غنية من المصادر والمراجع، من بين المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها:

– رحلة عبد الرحمان المجاجي المعروفة "برحلة المجاجي"من تحقيق الأستاذة سعاد آل سيد الشيخ، تعتبر من بين الرحلات الحجازية النظمية في مجال الشعر الفصيح إعتمدت عليها من جانب مسارات الرحلة والفوائد الإخبارية بما فيها الجغرافية والعلمية والتاريخية.

– رحلة إبراهيم بحمان، المعروفة "برحلة المصعبي" من تحقيق الأستاذ يحي بن بهون أفادتني في التعريف بالمصعبي ورحلته الحجازية أخذت منه قسط وفير عن تفاصيل رحلته.

– "ديوان المنداسي" لأبو عثمان سعيد المنداسي، اعتمدت عليه في المجال الإخباري للرحلة وشخصية المنداسي.

– "ديوان ابن مسايب" لأبو عبد الله مُحَمَّد بن مسايب الذي استفدت منه في رحلة ابن مسايب بمحطاتها الجغرافية التاريخية.

أما المراجع التي أفادتني وخدمت البحث منها:

– ناصر الدين سعيدوني في كتابه "من التراث التاريخي والجغرافي في الغرب الإسلامي" الذي أفادني بالكثير في موضوعي، اعتمدت عليه في التعريف بالمنداسي ورحلته الشعرية التي تعبر عن أشواق والتعريف بابن مسايب ورحلته.

– "تاريخ الجزائر الثقافي" بجزأيه لأبو القاسم سعد الله، الذي أرشدني في مواضيع عدة منها أنواع الرحلات العلمية والحجازية والحديث عن بعض الرحلات كرحلة أبوراس الناصري والمجاجي والمنداسي.
– "الجزائر من خلال رحلات المغاربة" لمؤلفه مولاي بلحميسي الذي استفدت منه في أنواع الرحلات الحجازية والعلمية والاستطلاعية والسياسية.

– وعبد الله كروم من خلال دراسته عن "الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات"، أفادني في رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني من خلال: شخصيته ،تفاصيل الرحلة، الفوائد الإخبارية للرحلة،أنواع الرحلات، أدب الرحلة.

– "رحلة الباي مُحَمَّد الكبيرباي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري" لأحمد بن هطال التلمساني، أطلعتنا هده الرحلة على الكثير من الأحداث التي وقعت أثناء تلك الفترة الخاصة بالجوانب السياسية منها علاقات السلطة العثمانية بالجنوب الجزائري، بالإضافة إلى بعض المراجع التي يحصى ذكرها.

وفي الأخير نتمنى أن نكون وفقنا في هذا البحث فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان والله ولي التوفيق.

فصل تمهيدي:

أدب الرحلات في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: مفهوم أدب الرحلة

المبحث الثاني: تطور أدب الرحلة

المبحث الثالث: أنواع الرحلات

كانت الرحلة عنصر قويا في حياة المجتمع الإسلامي بتعدد مجالاتها وأهدافها، وما سنتعرض له في دراستنا لهذا الفصل أدب الرحلات في الجزائر خلال العهد العثماني، فأدرجنا في المبحث الأول تعريف لأدب الرحلة، أما المبحث الثاني تعرضنا فيه لتطورات أدب الرحلة عبر الحقب الزمنية، والمبحث الثالث تعرضنا فيه لأنواع الرحلات في الجزائر الفترة العثمانية، وسنتحدث عن هذه المحاور بالتفصيل.

المبحث الأول: مفهوم أدب الرحلة

أولا: تعريف الرحلة

أ– لغة: الرحلة فيما معناها "رَحَلَ " رَحَلَ عن المكان، رَحِيلًا وتِرْحَالًا، والرُّحَالُ: العرب الرُّحل الذين لا يستقرون في مكان ويحلّون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى، الرَّحَالَة: الكثير الرحلة[1]، وما جاء في لسان العرب لابن منظور رَحَلَ بمعنى "مركب للجمل والناقة وجمع هذه الكلمة" اِرْحَلْ وَرُحَّالْ، وما جاء في الحديث الشريف عن اقتراب الساعة :« **تَخْرُجُ نَارمِّنْ قَعْرِعَدَنْ تَرْحَلُ النَّاسُ**» رواه **شعبة** قال: ومعنى تَرْحَلُ أي تَرْحَلُ معهم إذا رَحَلُوا، وننزل معهم إذا نزلوا، وتحملهم على الرَّحِيلْ[2]وما يَرْحَلُ إليه، ويقال الكعبة رُحْلَةُ المسلمين وأنتم رُحُلِي[3]أنها جاءت بمعنى السير والانتقال، وما سبق في معنى الرِحْلَةَ نجد المقصد الذي يراد السفر إليه، بمعنى دنو المكان المراد الوجهة

---

[1] عبد الله كروم؛ **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دحلب للنشر، الجزائر، 2007، ص33.

[2] ابن منظور؛ **لسان العرب**، تق.عبد الله العلايلي، إ.يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت– لبنان، مج1، ص1141.

[3] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص33.

أو الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل، لهذه المعاني كلها تطلق على رحال وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر[1].

ب– اصطلاحا: انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة[2]، فإن كان انتقال قبيلة من بلاد إلى أخرى لسبب كجدب بلادهم وضيقها دونهم، أو اضطهاد وقع عليهم أو على إثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم، وكذلك انتقال أمة من بلاد إلى آخر بقصد كسب الحروب وشن الغارات وغيرها من المقاصد التي تدفع الإنسان إلى الرحيل[3]، فهذا المفهوم لا يختلف عن سابقه.

ثانيا:تعريف أدب الرحلة

هو من الفنون الأدبية التي عرفت ازدهارا من قرون[4]، والتي قدمت للمؤرخ المادة الإخبارية في إطارها المكاني والزماني لما وجدت عليه هذه الأثر والشواهد المادية والفكرية والخطوط التي كانت تكتب بها هاته الأفكار ونوع الكتابات والمادة التي كتبت بها المخطوطات وطرق صناعة الكتاب التي كانت سائدة والطرق الفنية في كيفية الاهتمام بفكر السلف والمحافظة على التراث باعتبار فكرنا امتداد لفكر زماننا[5]، وأما ورد في موسوعة الحضارات: الرحلات والرحالة هي الرحلات البرية البحرية التي قام بها الرحالة المسلمون، وقد تنوعت بتنوع أغراضها للتجارة أو طلب العلم، أو الحج،

---

[1] عواطف مُحَمَّد يوسف نواب؛ **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين (7– 8 هـ)**، مطبوعا مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص40.

[2] بطرس البستاني؛ **دائرة المعارف**، مج8، مطبعة المعارف، بيروت– لبنان، (د ت)، 564.

[3] أم الخير مداح؛ **المؤسسات التفافية في الجزائر من خلال نصوص الرحالة** (1518-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، (1435هـ/2014 م)، ص9.

[4] عيسى الحسن؛ **موسوعة الحضارات**، الأهلية للنشر، لبنان– بيروت، ط1، 2007، ص343.

[5] أبو يعقوب يوسف الورجلاني؛ **رحلة الورجلاني**، تح. يحي بن بهون حاج أُمَحَّد، العطف– غرداية، ص1.

ومن أهم دواعيها الكشف وحب الاستطلاع عن المجهول[1]، وهكذا سار الكثير في الأرض واخترقوا الأفاق وتحدوا الأهوال والأخطار فاشتهر من بينهم مغاربة ومشارقة اتجهوا كل الاتجاه ضمن المواكب والمراكب[2].

فأدب الرحلة على الصعيد يشكل ثروة معرفية كبيرة ومخزن للقصص والظواهر والأفكار فضلا عن كونه مادة سردية شائقة، تحتوي على المجالات الجغرافية والشواهد الإخبارية بمظاهرها المختلفة والوعي الذي يلم الأشياء ويتخللها ويراقب الظواهر ويتفكرها[3].

ومما سبق يتضح لنا اختلاف أغراض الرحلة والارتحال والتي من جملتها أفرزت أدبا مميزا يمكن أن يطلق عليه أدب الرحلة، ولاشك إن أمتع كتب الرحلات وأرفعها قيمة علمية، هي التي أقام أصحابها بتأليفها بسبب خروجهم إلى الحج أو طلب العلم،كون مراكز العالم الإسلامي كانت حواضر علم وإشعاع خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وشملت الرحلة وصف الطرق التي قطعها الرحالة والحياة الاجتماعية والسياسية والعمرانية لكل المدن التي وصلوا إليها[4].

---

[1] عيسى الحسن؛ المرجع السابق، ص 343.

[2] مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط2، الجزائر، 1981، ص9.

[3] أحمد بن قاسم الحجري افوقاي؛ **رحلة أفوقاي الأندلسي مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحبة (1611–1683م)**، تق، تح. مُحَّد زروق، المؤسسة العربية للنشر، (د ب) ، ط1، 2004 ،ص 9.

[4] عواطف مُحَّد يوسف نواب؛ المرجع السابق، ص30 .

المبحث الثاني: تطور أدب الرحلة

أولا: الرحلة في القديم

إن الرحلة كانت معهودة في تاريخ أجدادنا الذين يقدرون ما يجنى منها من فوائد متنوعة في ظروف لم تعرف بعد وسائل النقل المتطورة[1]، فبدأها الإنسان سيرا على الإقدام ساعده على ذلك ما حظيت به كانت قدماه من خصائص تشريحية متميزة مكنته من السير مسافات بعيدة[2]، أولى الرحلات العرب كانت قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية والتي اشتهرت عند العرب هي: رحلة الشتاء الصيف على ما جاء ذكره قوله تعالى: ﴿ **رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَيْفِ**﴾[3]، فكانت لهم رحلتان، ودافع هاتين الرحلتين في سبيل الاتجار في الأسواق، وتتم في مواكب تتجمع بعضها البعض من صد العواقب الخارجية المضادة للرحلة، ورحلة الرسل المترددين بين الملوك والأمراء والمغامرين الواجدين في الرحيل لذة خاصة لنشر التعاليم الربانية.

ثانيا: الرحلة في العصور الإسلامية

ولما نمت الدولة الإسلامية على متسعات آسيا وإفريقيا وأوروبا، ومن يسكنها من شعوب وحضارات وعقائد ولغات مختلفة، ظهرت الحاجة إلى معرفة العالم الإسلامـي والعوالم المجاورة، تحدوهم أغراض جغرافية سياسية اقتصاديـة وعلمية[4].

---

[1] صالح بوسليم؛ **ملامح جزائرية رسمتها بعض كتب الرحالة المغاربة خلال العهد العثماني**، مداخلة في الملتقى الوطني حول أدب الرحلة ودوره في الكتابة التاريخية، جامعة غرداية،(غير منشورة)، يوم 2013/3/17، نسخة بحوزتي.

[2] حسين مُحَّد فهيم؛ **أدب الرحلات**، عالم المعرفة للنشر، الكويت، 1990، ص 33.

[3] سورة قريش؛ الآية:2.

[4] نقولا زيادة؛ **الجغرافية والرحلات عند العرب**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت،1962، ص15.

وترتب عن الرحلات التي قـاموا بها ظهور أنواع من التأليف في الجغرافيـة والفلك والطب وغيـرها ... ، "كالخوارزمي (ت 850م) و" اليعقوبي (ت897م) و" الاصطخري الذي كتب المسالك والممالك، والمسعودي صاحب مروج الذهب (ت957م)، الذي تضمن وصفا لاستدارة الأرض وحضارات الماضي وبلاد الإسلام وابن حوقل الذي بلغ زمن رحلته (32) سنة غطى فيها مشارق العالم الإسلامي.

وأشهر الرحالات رحلة ابن جبير[1] الأندلسي (ت1217م) وابن بطوطة[2]، الذي قضى نحوى (25) سنة في رحلته من المغرب إلى الصين وبعد هذه الفترة ذاتها، عالم الاجتماع عبد الرحمان بن خلدون (ت1406م) في كتابه الشهير" ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر"، من خلال هذا عرف الرحالة المسلمين التقويم والبلدان وخطوا مؤلفاتهم في رحل عامة ووصفوا فيها وسجلوا منظوراتهم بدقة[3]، إلا أن كتبهم لم تسلم من الضياع

وبهذا فإن الرحالة العرب الأوائل الدين سبق ذكرهم يعتبرون مصادر أصلية مهمة في كتابة التاريخ،خاصة التاريخ الاجتماعي والتاريخي الاقتصادي وحتى الثقافي، بحكم معايشتهم الأقوام والاطلاع على الشعوب والمجتمعات[4].

---

[1] ابن جبير (540- 614 هـ/ 1145- 1217) أبو الحسن مُحَمَّد بن احمد بن جبير الكناني، رحالة أندلسي الذي ولدببلنسية تنقل في مطلع حياته في عدد من المدن الأندلسية والإفريقية ،تمتع بمكانة عالية لسعة علمه وقدرته على نظم الشعر والنثر، انظر: عواطف مُحَمَّد يوسف: **الرحلات المغربية الأندلسية**، مصدر من صادر التاريخ، ص ص87-88.

[2] مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم، الملقب بشمس الدين (1304- 1377م)، رحالة مغربي وأسباب رحلته كان أساسا خروجه للحج وزيارة مسجد الرسول ﷺ، وقضى في رحلته وقتا طويلا متنقلا في البلدان، واستمرت سنة 124-126 رحلته 29، أنظر: مُحَمَّد بن عبد الله ابن بطوطة؛ **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مقدمة الكتاب، انظر: فوزي مصمودي: **تلمسان بعيون عربية (الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء والعرب**، ص40.

[3] عيسى الحسن؛ المرجع السابق ، ص ص 343 -345 .

[4] مفيد الزيدي؛ **منهج البحث التاريخي**، دار المناهج للنشر، الأردن ، (د ط)، (د ت)، ص 126 .

ثالثا: الرحلة في الفترة الحديثة:

وعند أفول العصر الحديث برز الكثير من الرحالة في المغرب الإسلامي بعد إن انطوت أجزائه تحث الخلافة العثمانية لاسيما الإيالة الجزائرية، فأسهم الرحالة الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات وكانت هذه نتيجة للرحلات الحجازية التي قاموا بها[1]، واهتموا اهتماما كبير بتدوين خواطرهم تيقنا لمحبتهم لهذه الأماكن المقدسة، وما احتلته من مكانة دينية سامية في قلوبهم ومن بين الرحالة الجزائريين نذكر "عاشور بن موسى القسنطيني" المعروف بالفكرين"، الذي شد الرحال لطلب العلم في عدة بلدان ما يقرب عشرين سنة، ورحلة عبد الرزاق بن حمادوش في القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي[2] (1107هـ/1695م)[3] وكان سبب هذه الرحلة العلم والتجارة الذي قام بها من الجزائر وتطوان ومكناس وقدم فيها وصفا دقيق لجوانب الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب.

وضمها في مؤلفة تعرف "بلسان المقال"[4] ، ورحلة الورتلاني[5] التي تزامنت والفترة السالفة الذكر

---

[1] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي (1500– 1830)**، دار البصائر، الجزائر،ج 2، 2007 ،ص ص 382 -385.

[2] حنيفي الهلالي؛ **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**،دار الهدى الجزائر، ط1، ص 214 .

[3] عبد الرزاق بن حمادوش؛ **رحلة إبن حمادوش**، تح.أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 2005، ص9.

[4] المصدر نفسه، ص 9.

[5] الشيخ الحسين بن مُحَّد الورتلاني نسبة إلى بني ورتلان قبيلة قرب بجاية (1125هـ- 1193 هـ/1713– 1779م) ينتسب إلى أسرة ذات علم تعود أصولها حسب الروايات إلى شرفاء تفيلالت التي استقرت في بجاية ثم تحولت في عهد جده الولي الصالح "علي البجائي" إلى موطن قبيلة بني ورتلان بالقبائل الصغرى، أشتهر أفراد أسرته بالعلم إرتبط حسين الورتلاني بالطريقة الشادلية وظل مرتبطا بحياة الزهد ،أدى فريضة الحج ثلاثة مرات الأولى بصحبة أبيه والثانية عندما بلغ الأربعين والثالثة استغرقت 3سنوات وقد تجاوز سنه 54 من عمره،أشتهر برحلته التي انتهى من إملائها عام 1182هـ التي ضمها مشاهداته وملاحظاته، وتعود أهميتها لما احتوت عليه من معلومات في غاية الأهمية تتعلق بالجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها للتعرف على أوضاع البلاد الجزائرية وتونس وطرابلس ومصر والحجاز في القرن 18م. انظر: **رحلته حسين بن مُحَّد الورتلاني في نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مج1، الجزائر،ص3، ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي –...للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، ص452، أنظر لنفس المؤلف؛ **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر القترة الحديثة والمعاصرة**،ج2 ، ص ص 99-100، أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق، ص384.

التي تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم وغيرها من الرحلات التي اشتهرت تلك الفترة[1].

وعندما زاد على الرحلة الإقبال تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطور هذا الفن الأدبي كما وكيفا وأصبح من، الأهمية بمكان، بحيث لا تكمل ثقافة الإنسان بدونه كما أصبح من المصادر التاريخية[2]، ومن هنا فإن الرحلات في الفترة الحديثة مثلت معلما بارزا لدا الرحالة الجزائريين، من خلاله تركوا لنا عدة رحلات حجازية كتبوها بعد أداءهم فريضة الحج أو طلب للعلم[3] لكن مصير هذه الرحلات يختلف، منها من فقد تماما ولا يعرف إلا بالاسم ومنها ما بقي سليما وامتزجت تلك الرحلات الجزائرية بين الرحلات النثرية والرحلات التي اكتفى أصحابها بنظمها في قصائد مطولة[4].

[1] حنيفي الهلالي؛ المرجع السابق ،ص 216.

[2] مولاي بلحميسي؛ المرجع السابق ،ص 10.

[3] حنيفي الهلالي؛ المرجع السابق ،ص 216.

[4] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي (1500– 1830)**، دار البصائر، الجزائر،ج 2، 2007 ،ص ص 382 -385.

المبـحث الثالث: أنواع الرحلات

أولا: الرحلات الحجازية:

تنوعت أغراض الرحالة في رحلاتهم، منهم من كان هدفه القصد للبقاع المقدسة حاجا لبيت الله الحرام ومنهم من يغترب طويلا، طلبا للعلم ومجالسة علماء العصر ومنهم من كان هدفه حب الاستطلاع.

والرحلات الحجازية هي التي تكون خارج العالم الإسلامي بهدف أداء بهدف أداء فريضة الحج[1]، من الواضح أن تكون الحجاز في نظرا جزائريين[2]، بقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم لكن الجزيرة العربية قطعة أرض تضم تاريخ الوحي والدعوة والأمة الإسلامية[3]، فهي مرتبطة قبل كل شيء بالذين وشعائره وسيرة الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، باعتباره صورة روحانية متألقة بالقلب والروح فتنهلم عبارات الشوق إلى تراب الجزيرة العربية، في نظرهم تراب طاهر وماءها عذب وهواءها نقي،كل معلم من هذه المعالم يحمل ذكرى راسخة وصوتا وأعضاء[4]، وهنا تدخل فريضة الحج في الغرض الرحلي، وما تنزله في النفس من مشاعر تحرك الشعراء والأدباء خلال السفر إليها تدفعهم لتسجيل ملاحظاتهم وما يرونه في البقاع المقدسة[5].

---

[1] عبد السلام بن المختار:**المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية**،بحث مقدم في جامعة عبد المالك السعدي،كلية الأدب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، 1426هـ، ص100.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص179.

[3] أبو القاسم سعد الله؛ **التاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص 387.

[4] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ص 179.

[5] عبد الله كروم: المرجع السابق، ص ص 38-39.

كما كانت فلسطين قبلة للعديد من للرحلات المغاربية وخاصة القدس الشريف، وتأصلت الرحلات مند فتح بيت المقدس لصلاح الدين الأيوبي[1].

الرحلات الحجازية في مجملها لم تقتصر على الرحلات الجزائرية فحسب بل قصد جمهور من الأدباء والعلماء المغاربة والأندلسيين البقاع المقدسة، وبرعوا في وصف رحيلهم وإقامتهم، حتى أصبحت كتبهم دليلا لمن ينوي السفر ومرشدا لمن يدر مخاطرها ومشاقها[2]، ومن نماذج الرحلات الحجازية رحلة "أحمد بن قاسم بن مُحَمَّد المعروف بالبوني"وله تأليف عديدة في هذا الصدد سماها (الروضة الشهية الشهية في الرحلة الحجازية)[3]، ورحلة الورتلاني المعروفة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار[4].

ثانيا: الرحلات العلمية

المقصود بها تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والإطلاع على البلدان، والأخذ عن علمائها[5]، وما يترتب عن هذه الرحلة من نمو أسس معرفية لعلوم عديدة كالجغرافية والنقل والاجتماع والسياسة وكتاب الرحلة كما قال الأستاذ شيبان ليس كتابا أدبيا تاريخيا فقط، بل كذلك كتابا علميا وطبيا[6]، وهذا فإنا الجانب العلمي في الرحلات الجزائرية شغل حيزا كبير من كتابات الرحالة، وخصصوا الكثير من وقتهم لطلب العلم أينما حلوا رحلتهم[7].

---

[1] نقولا زيادة؛ المرجع السابق ،ص ص 167-168 .

[2] مولاي باحميسي؛ المرجع السابق، ص 12 .

[3] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق، ص182.

[4] أحمد ظريف؛ **قراءة في الرحلة سياحة في أغوار رحلة الورتلاني**، رابطة أهل القلم، ص9.

[5] أبو القاسم سعد الله؛ **أبحاث وراء في تاريخ الجزائر** ،ج1 ،ص 382 .

[6] وليد أبو بكر؛ **بين لغة الأدب ولغة الإعلام**، مجلة التفافة، ع81 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1404هـ/1984م، الجزائر، ص296.

[7] عيسى الحسن؛ المرجع السابق، ص 343 .

ففي كل مدينة يحلون بها يسألون عن العلماء ويجلسون في حلاقات الدرس ويتلقون الإجازات العلمية وقد يجلسون أحيانا لإعطاء الدرس لطلبة العلم في المدن التي يمرون بها، فهي رحلة أخذ وعطاء وتبادل المنافع، ومن بين الرحلات التي اتصفت بالعلمية رحلة أبوراس الناصري (1150هـ/1737م) إلى الحجاز[1].

قد اهتم فيها بجانب العلم والعلماء وما جاء في قوله: « لقيت بها (مصر) العلماء الكبار العلم والأدب..، إمام الأرض شيخنا السيد مرتضى، ففاوضته في فنون فوجدته كمالي فيه من الظنون ورويت عنه أوائل الصحيحين، ورسالة القشيري ومختصر الكنز الراقي وأجازني بالباقي»[2]، وطلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام برحلات، لدا كان الدارس إذا ما تم تعليمه في بلاد يسافر بعيدا يغترب طويلا وينزل بإحدى عواصم العالم العربي ويجالس من اشتهر من علماء العصر ويحضر دروسهم ويلخص ما اقتطف وتصبح هذه التقايد هيكل كتاب يعرف فيما بعد " بالرحلة في طلب العلم"[3]، وما يدخل في صميم هذه الرحلات الاستكشافية التي الغرض منها البحث عن المجهول[4].

[1] حنيفي الهلالي؛ المرجع السابق، ص ص 215-218.

[2] حنيفي الهلالي؛ المرجع نفسه، ص ص215 - 218 .

[3] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص39.

[4] مولاي بلحميسي؛ المرجع السابق، ص 10.

ثالثا: الرحلات السياسية

تعتبر هذه الرحلات من الرحلات التي طالت أقدامها في تاريخنا الإسلامي، تسمى كذلك "الرحلة السفارية " وهي ذات أهمية بالغة في التاريخ السياسي للأقطار والشعوب[1]، وهي التي يكلف بها الحاكم إحدى رجاله أو مجموعة معينة لتحقيق هدف ما.

ولما توسعت الدول وترامت أطرافها تحتم عليهم اتخاذ عيون وسفراء ينقلون لهم الأخبار والمعلمات الخاصة بما يضمن الاستقرار للدولة، ويرجح القول إلى أن التجسس كان سببا في قيام بعض الرحلات القديمة[2]، وعرفت الدولة الإسلامية نظام الجواسيس لمعرفة خطط المشركين ضدها، وأول من وكل له القيام بهذا العمل هو "عبد الله بن عمر" فقد أمره أبو بكر بالتحري عن أقوال قريش فيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم نهارا ويأتيه بالأخبار ليلا في غار ثور عند هجرتهما إلى المدينة[3].

اصطلح الباحثون المغاربة المعنيون بأدب الرحلة على تسمية الرحلات التي تقوم بها شخصيات رسمية إلى أوربا " بالرحلات السفارية "وهو ما ينطبق على صاحبها القيام بسفارة اتجاه دولة أجنبية، وتكون أحيانا من إنشاء السفير نفسه، ومن أقدم الرحلات السفارية "رحلة ابن فضلان" إلى بلاد الصقالبة التي تمت بطلب من الخليفة العباسي المقتدر، ورحلة أبي دلف المشعري الينبعي في القـــرن (4 هـ/10م)[4]، وظهر هذا النوع عند السلاطين السعدين في القرن 16م وبعدهم العلويين من خلال تعينهم بعض المقربين لهم للقيام بمهمة في البلدان الأجنبيـــة وحتى الإسلامية لدى ملوكهـــا، ومثل

---

[1] أم الخير مداح؛ المرجع السابق، ص8.

[2] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص40 .

[3] عواطف مُحَّد يوسف نواب؛ المرجع السابق، ص 30 .

[4] مُحَّد الغساني الأندلسي؛ **رحلة الوزير في إفتكاك الأسير(1690– 1697)**،ج،ت.نوري الجراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص14 .

الرحلات في هدا الشأن رحلة التمقروتي سنة 1580م عندما كلفه أحمد المنصور بالذهاب إلى استنبول، وما حصل للوزير الزياني سنة 1786م، وعند العودة يكتب السفير تقريرا مفصلا يذكر فيه كل ما يرى أو حدث له أو اطلع عليه[1].

رابعـا: الرحلات الاستطلاعية

هي الرحلات الاستكشافية والغرض منها البحث عن المجهول[2]، وقد يخطر لمحب التجول والمغامرة يرتحل لمدة كثيرا ما تستغرق شهورا أو سنوات ي دون أثناءها ما يعجبه أو يجلب انتباهه أو يدون أثناءها ما يعجبه أو يجلب انتباهه أو تخالف عن ما تعوده، وفي هذا الصنف من الرحلات نذكر الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي المعروف بالأسد الإفريقي (ت1537/944م)، الذي شرع في رحلته للمشرق حوالي (1515– 1516م) إلى أن قبض عليه قراصنة صقلية، فسيق إلى البابا ليون العاشر[3] "يوحنا الميدايسي (1513-1521م) ابن لورانسو الفاخر أمير فلورنسة الذي عرف بتقديره للأدب والعلوم واهتمامه بقضايا الشرق، فضل حسن الوزان في روما مفضلا حياة الزهد مبعدا عن المظاهر الصاخبة للمجتمع الإيطالي منشغلا بدراسة اللغة اللاتينية والإيطالية[4].

ومهما فصلنا في أنواع الرحلات فأنها تتعدد بهدف رحلاتها ومقصدهم من الرحلة، وهناك نوع آخر من الرحلات تمكننا الإطلالة عليها منها الرحلة الاقتصادية والرحلة الخيالية ورحلات المنفى وغيرها من الرحلات التي لا يمكن إجازها[5].

---

[1] مولاي بلحميسي؛ المرجع السابق ، ص11-75.

[2] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص 40.

[3] مولاي بلحميسي؛ مرجع سبق ذكره، ص 11 .أنظر ناصر الدين سعيدوني؛ **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة** ،ج2 ، ص75 .

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ من **التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ص317.

[5] عبد الله كروم؛ المرجع السابق ،ص ص39 -41.

مما سبق يتضح لنا أنه مهما اختلفت المصطلحات في التقريب من أدب الرحلة إلا أنه يعد من أبدع الفنون وأرقاها لما يحمله من فوائد عديدة متعددة منها الفكرية والأدبية ومنها التاريخية والاجتماعية التي تساعد الباحث في التعرف على المدن والآفاق وعادات الطوائف والأقوام في مختلف الأمصار، ويعد من المصادر الأساسية التي حفظت لنا التراث التاريخي للشعوب من خلال التدوين الرحلي الذي تركته الأسلاف الماضية، وأخذ هذا الأدب بالتدرج في سلم العصور إلى أن كثرت وتنوعت أغراضه وبلغ أوجه في فترة القرن الحادي عشر هجري الثامن عشر ميلادي ونشطت حركة التأليف الرحلي، والسبب في ذلك أن الجزائريين اهتموا اهتماما كبيرا بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجاز، وهي محاولة لرصد إثر تلك الرحلات المتعاقبة سواء كان الغرض منها الحج أو الزيارة لأداء فريضة الحج، وباعتبارها كذلك دار علم ومقر إمام دار الهجرة "مالك بن انس "وكون لهم فكرا خلاقا مزج الجانب الفقهي بالجوانب الأخرى المتعلقة بالأسفار وآدابه وقضايا الإيجاز والعلاقات الإنسانية والتدريب على تحمل المشاق ومواجهة الصعاب، أن الجانب العلمي شغل حيزا كبيرا من أغراض الرحالة.

الفصـل الأول:

نماذج من الرحلات في الجزائر العهد العثماني

المبـحث الأول: الرحلات الداخلية

المبــحث الثاني: الرحلات الخارجية

عرف أدب الرحلات رواجا كبيرا على غرار العهود السابقة مشرقا ومغربا ونشطت حركة التأليف الرحلي في الجزائر خصوصا، وما سندرسه في هذا الفصل نماذج من الرحلات في الجزائر العهد العثماني وأهم ما تناولناه في المبحث الأول الرحلات التي تمت داخل الإيالة الجزائرية، والمبحث الثاني كان محور دراسته الرحلات خارج القطر الجزائري وما أسهمت به هذه الرحلات من فوائد إخبارية.

المبحث الأول: الرحلات الداخلية

أولا : رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائر (1200 هـ/ 1785م)[1]

أ – التعريف بالباي مُحَمَّد الكبير: هو أبو مُحَمَّد بن عثمان الكبير بن إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي، كان أبوه بايا على التيطري، وبعد وفاته تكفل أبي إسحاق إبراهيم المليانى بولديه "مُحَمَّد الكبير ومُحَمَّد الرقيق"، وبعد أن توسم في مُحَمَّد الكبير نشاطه المتزايد وشجاعته الصادقة وطد علاقته به وصاهره إحدى بناته وعينه قائدا على فليته (1178هـ/1764م)- بعد ثلاثة سنوات من حكمه- ليعين خليفة في الناحية الشرقية من الإيالة الغربية، بعد غزوا الأسبان للجزائر (1189هـ/ 1775م) شارك في الدفاع[2] عن الجزائر وأبدى شجاعة عديمة النظير وأذاق الجيوش الأسبانية مرارة الهزيمة، ليعن بايا على الإيالة الغربية، كان شديد الحرص والاعتناء بالتفافة والمثقفين فشيد المسجد الكبير بمدينة معسكر وفتحه لمدينة الأغواط، كانت تتهاطل عليه المدائح الشعرية والنثرية، وصفه **تيدنا**[3].

---

[1] محمود شاكر؛ **التاريخ الإسلامي العهد العثماني،المكتب الإسلامي**، بيروت، ط4، 2000 ، ص573 .

[2] أحمد بن هطال التلمساني؛ **رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائري (1785)**، تح، تق. مُحَمَّد بن عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004 ،ص ص 16-17.

[3] تيدنا أسير وتاجر من عائلة كاتوليكية من أصل كورسيكي قبض عليه قرصان البحر أثناء توجهه إلى مدينتي ليفورنيا، في فترة كانت العلاقات بين إسبانيا والجزائر سيئة، اشتراه بدوره الباي مُحَمَّد الكبير فبقي في قصره ما يزيد الثلاثة سنوات، وصار خزندار(أي الذي يقوم بخزن الثروة)، كان يجيد اللغات الأسبانية والإيطالية واللغة العربية ليعود إلى فرنسا وكتب مذكرات ذات قيمة ...تاريخية وهو على فراش المرض، إستقر به الأمر إلى منصب سكرتير ونائب قنصل سان ريمو. انظر: تيدنا: **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني** (مذكرات تيدنا نموذجا)، ص ص25 -26.

بأنه شديد الإنسانية وذا سلوك طيب، بالإضافة إلى ذلك ثقافته الواسعة على خلاف الأتراك الآخرين[1].

ب- رحلاتــه: ابتدأت رحلة الباي مُحَمَّد الكبير باتجاه القبلة أي للجنوب الجزائري في سنة (1200هـ/1785م)، سبب هذه الرحلة امتداد النفوذ العثماني جهة الجنوب بعد أن جعل النصر حليفه وأمامه، خاصة أن هذه البلاد ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة وممتنعة عن سلطة مُحَمَّد الكبير لذا شمر لها وجمع قواده، خارجا من معسكر إلى القبائل عازما لرد ما بها من النفار والصد عن سلطته[2]، فوصلها في ثلاث ساعات فلما رأى أهلها خيله فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم وغلقوا الديار وعلوا الأسوار، ثم قدم أولاد يعقوب بإبلهم وخيلهم[3] عليه وأعلنوا ولاءهم والخضوع له "كأولاد خليف والأحرار" و"أولاد صالح وأولاد يعقوب " وامتدت هذه الرحلة التطوعية إلى الأغواط وبعد الانتهاء من المهمة التي خرج من أجلها وما قاله في هذا الشأن: «قد انتهى ما كنا أردنا جمعه وكمل الغرض الذي انتخبنا وضعه وتحربنا فيه جهدنا وجعلنا الاختصار وعدم التكلف فيه قصدنا.. فالحمد لله على ما منّ به من إكمال والشكر له على من منحنا»[4].

ج- الفوائد الإخبارية لرحلة الباي مُحَمَّد الكبير:

أهم ما ورد في هذه الرحلة أخبار جغرافية عن مناطق الجنوب الجزائري وبعض أهالي القبائل الصحراوية التي أعلنت ولاءها للحكم العثماني في فترة القرن الثامن عشر، إضافة إلى أخبار اجتماعية وسياسية وأدبية لا يستغني عنها أي دارس أو مؤرخ عند دراسته لهذه الفترة الزمنية في علاقة السلطة

---

[1] تيدنا؛ **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني** (مذكرات تيدنا نموذجا)، دار الهدى للنشر، ص ص24 - 27.

[2] أحمد بن هطال التلمساني؛ المصدر السابق، ص 25 ،26 92 .

[3] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ص485 .

[4] أحمد بن هطال التلمساني؛ المصدر السابق ، ص92 . أنظر: ناصر الدين سعيدوني؛ **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية** (الجزائر، تونس، طرابلس)، البصائر للنشر، الجزائر ،ط2 ،2013 ، ص ص74- 75.

العثمانية بالجنوب الجزائري وامتدادات النفوذ العثماني، وإذا لم يبق نفوذه مقتصرا على المناطق الساحلية والداخلية للإيالة الجزائرية

ثانيـــا: رحلة ابن الدين الأغواطي (1242هـ/1826م)

أ– التعريف بابن الدين الأغواطي: الحاج ابن الدين الأغواطي[1] من المناطق التلية بالجزائر،حسب ما وذكره أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر التفافي" قليل التعلم كثير الإطلاع كون أغلب معلوماته عن أحوال العصر لا تدل على معارف دقيقة، كثرة إطلاعه تدل عليها المناطق التي وصفها كان على علاقة مع هدسون لأنه مطلعا على أحوال الصحراء وأهلهـا ولغتها، تعرف عليه خلال سنوات (1825– 1829م)، لأن هودسون[2] كان مهتما بجمع المعلومات عن البربرية فاستعان به في تحليل النصوص القديمة، كون أن رحلة ابن الدين الأغواطي قام بها بناءا على طلب هودسون بكتابة الرحلة وقال في هذا الشأن: «لقد أعددت ترجمة لرحلة قصيرة في شمال إفريقيا قام بها ابن الدين الأغواطي وهذه الرحلة كتبها صاحبها بطلب مني وقد دفعت له الثمن ».

ب– رحلاتـه: إن الرحلة التي قام بها ابن الدين تاريخها غير مؤكد إلا أن نهايتها تحمل تاريخ ربيع الثاني سنة (1242هـ/1826م)، كانت انطلاقة الرحلة من مدينة الأغواط وما تضمنته من أوصاف العمران لهذه المدينة من حيث الكبر والتحصينات وأبواب المدينة والمساجد ولغة أهلها والألبسة التي تتوفر عليها والمؤن وحتى الأشياء النادرة فيها لم يغفل عنها، والأودية التي تقسم المدينة والعروش السكانية التي تقطن في البلدة، وطبيعة البنايات في البلدة والقرى المجارة في الجهات الشمالية والغربية للأغواط والأسس الذي ارتكزت عليها،كما ذكر الجانب الاقتصادي المتمثل في التجارة والأسواق[1].

---

[1] الأغواطي الحاج بن الدين؛ **رحلة الأغواطي الحاج بن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية**، تح. أبو القاسم سعد الله، ص80.

[2] الحاج إبن الدين الأغواطي؛ المصدر نفسه، ص86-87 .

[1] الحاج ابن الدين الأغواطي؛ المصدر نفسه، ص ص 91 – 99 .

أما في مدينة متليلي ذكر والمسافة المستغرقة للوصول إليها وتضمن ما شاهده من أسوار المدينة ندرة المياه في بعض الأماكن والكيفية التي يستخرج بها سكان متليلي الماء، امتزاج لغة السكان بين البربرية والعربية للتواصل رحلة ابن الدين مدينة غرداية ما أسترعى انتباهه عد المساكن التي تتراوح إلى أربعة وعشرون مسكن وأن هذه البلدة ليست تحت نفوذ أي سلطة، المذاهب الدينية المتبعة، الصناعات المشتهرة في البلدة وتابع رحلته من متليلي إلى المنيعة والتي تبعد مسيرة يوم تحتوي على الكثير من الآبار والنباتات التي تنموا في المنطقة والسكان الشعانبة القانطين فيها والمنتوجات التي تتوفر في المنطقة، وتواصلت رحلة الاغواطي بن الدين إلى الجنوب الشرقي لتحط رحالها في مدينة ورقلة التي تبعد مسيرة خمسة أيام ، كان وصفه لمدينة ورقلة بنفس الأوصاف التي وصفت بها المدن السابقة من حيث العمران والسكان ومنابع المياه المتوفرة والقرى المجاورة لها، ثم حط رحاله جنوب الصحراء توات.

أما في رحلته من ورقلة إلى غدامس ووادي سوف ذكر لنا طريق الرحلة وسكان الطوارق، عادات أهل المنطقة من اللباس والطعام، ثم اتجهت رحلته إلى مدينة تقرت، بلدة الثروة والرخاء وعاصمة المنطقة تقرت التي لها نفوذ على (24) قرية و(400) منزل والمساجد المتوفرة فيها والجماعات التي تسكن تقرت ، لتنتهي رحلته إلى جربة وطرابلس وقبلهما تنبكتو والسودان[2].

ج– الفوائد الإخبارية لرحلة إبن الدين الأغواطي:

رحلة ابن الدين الأغواطي من أهم الرحلات الوصفية للمناطق الصحراوية، ولأهمية هذا النص الرحلي سارع الفرنسيون بترجمته وتداوله، وكانوا أكثر اهتماما بالمناطق الإفريقية من الأمريكيين، فقد ترجم" دافيزال "هذه الرحلة الفرنسية إلى الانجليزية ونشرت في مجلة أخبار الرحلات الجديدة، الرحلة كنص تاريخي هامة جدا فهي تحتوي على معلومات اجتماعية واقتصادية وأدبية لغوية عن بعض المناطق الصحراوية التي تحدث عنها أو سمع عنها، من خلال اعتراف هودسون، حيث قال عنها:

[2] المصدر نفسه؛ ص ص 91 – 99.

«أن هذه الرحلة تحتوي على معلومات لم يسبق للأوربيين أن عرفوها وحتى الذين رحلوا وكتبوا عن إفريقيا»[1].

ثالثـا: رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني (ت 1233هـ/1817 م)[2]

أ- التعريف بعبد الرحمان بن إدريس التنيلاني: الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاني[3] من أبرز علماء الإقليم التواتي، ولد سنة(1181هـ/1767م) بتنيلان[4]ويعتبر كذلك من شعراء منطقة تنيلاني[5] لم تتحدث عنه المصادر كثيرا له قصيدة مشهورة رثى بها العالمين الجليلين " الشيخ عمر بن عبد الرحمان التنيلاني والحاج عبد الله بن السيد الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، وكل ما نحمله عنه تاريخ الوفاة الذي كان في سنة (1233هـ/1817م) .

له رحلة إلى الجزائر وصادف فيها إحدى المعارك التي شاهدها في الجزائر العاصمة، تحدث عن عادات وتقاليد قبائل التقى بهم في رحلته مثل الشعانبة وبني ميزاب وأهالي أولاد نايل وغيرهم من القبائل المرتكزة فيها أثناء تلك الفترة[6].

أما القصيدة المشهورة التي نظمها بشأن العالمين المذكورين سابقا نلمس منه هذه الأبيات المؤثرة في نفسية التنيلاني التي يقول فيها :

" أَلَا فِي سَبِيْلِ اللهِ مِمَا أَصَابَنَا مِنْ الهَمِ وَالأَحْزَانِ وَ الضَـــــــيْقِ

---

[1] الحاج إبن الدين الأغواطي؛ المصدر نفسه، ص99.

[2] محمود شاكر؛ المرجع السابق، ص 572.

[3] نسبة إلى أحد قصور منطقة توات تينيلان وهو من القصور القديمة التي تقع قرب تيمي شمالا، بها الولي الصالح الحاج عبد الرحمان الولي الكبير الذي أشتهر عند أهل المنطقة بالكرامات العظيمة. أنظر: مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني؛**نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء والثقات**، مطبعة سالي للنشر، أدرار- الجزائر، 2010، ص 109.

[4] سليمان دهان؛ المرجع السابق، ص24 .

[5] مُحَمَّد باي بالعالم؛ **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، أدرار- الجزائر، ج2 ، 2005 ،ص144 .

[6] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص 64.

لَقَدْ غَمَرَتْنَا الحَادِثَاتُ بِبُؤْسِهَـا وَحَلَتْ بِنَا الْرَزَايَا مِنْ حَيْثُ لَا نَدْرِي

فَيَـا تَنِيلَانُ أُصِيْبَ وَحِيْـدُهَا وَسَيُدُهَـا المَرْحُومْ لِلنَفْعِ وَالخَـيْرِ

أَبُو حَفْصٍ حَلِيمُهَا وَفَقِيهُهَـا وَعَالِمُهَا المرتَدِي بُرْدَا الفَخْـرِ"[1]

ب- التعريف بالرحلة: ما ذكره عبد الرحمان بن إدريس عن رحلته التي انطلقت في أول من شهر شعبان التي قال في شأنها: « فلما قدّر الله سفري لمحروسة ثغر الجزائر، وكان سفري لها في أول شعبان... »، وهكذا كان خروجه يوم (1231هـ/ 1815م) من تنيلان الذي وصل منها إلى تيميمون بعد مسيرة ثمانية أيام أقام بها مدة تسعة أيام وخرج منها في اليوم العاشر من نفس الشهر متجها إلى مدينة غرداية وكانت رحلته برفقة قبائل الشعانبة الذي وصفهم بنعمة الرفقة بسبب ما لقاه منهم من الطاعة والشفقة وصف نفسه كأمير في رعيته، وعند إقامته بمتليلي أورد لنا علاقات الشعانبة ببني ميزاب التي اتصفها بالعدائية، إلا أنه لم يذكر لنا أسباب ومظاهر هذه الصدامات في مجملها اكتفى فقط بذكرها بالعداوة، ثم تواصلت رحلته إلى قصور مدينة ميزاب منها: بنورة، مليكة ،غرداية، وقد اجتمع مع فقهائهم وتعرف على المذاهب المتبعة في البلدة الذي وجدها تختلف عن المذاهب الأربعة، تحدث من خلالها عن قرية أبليك وما فيها من الأمن والآمان واصفا واحاتها بكل ما تتوفر عليه، وبعد إقامته فيها ثمانية أيام توجه برحلته نحوى عرب أولاد نايل الذي وصفهم بأهل الرحم والبر والرأفة ومن منطقة أولاد نايل انتقل إلى مدينة إقليم التيطري (المدية)، ليصل إلى الجزائر العاصمة- بالمصطلح الحالي- وأقام في فندق الجزائر بباب عزون وصادف وجوده فيها معارك الأسطول الجزائري والأسطول الإنجليزي التي قال في شأنها: « فلما كان يوم أحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لانقليز قرب الجزائر في البحر وهي أربعون سفينة وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير، كل مدفع عمارته قنطار بارود و نزلوا بعيدا من الجزائر بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر»، تحدث التنيلاني عن

[1] مُحَمَّد باي بالعالم؛ المرجع السابق، ص145.

الدمار الذي حل بالجزائر حتى أصبح ليلها كنهارها من شدة النيران المشتعلة، هذا باختصار كل ما ورد عن الرحلة التي قام بها عبد الرحمان بن إدريس التي انتهت به في مدينة الجزائر[1].

ج- الفوائد الإخبارية لرحلة عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني:

- قيم اجتماعية: أهم القيم الإخبارية المستقات من الرحلة التي قام بها انطلاقا من تينيلان مرورا بمنطقة متليلي وصف لنا طبيعة المجتمع الشعانبي الذي تميز بالطاعة والخدمة لمن قدم منطقتهم، ووصف العلاقات القائمة بين الشعانبة وبني ميزاب التي وصفت بالعدائية، إضافة إلى اجتماعه بأعيان الإباضية ومعارضته للمذاهب المتبعة من طرفهم في ظل ابتعادهم عن المذاهب المتبعة، والأخبار المتعلقة بواحات وقصور مدينة غرداية التي لا يستغني عنها أي باحث أو مؤرخ عند دراسته لهذه المنطقة وضواحيها وما ذكره في شأنهم: « وكلهم أهل نخيل وشجر ونخيلهم ما رأيت مثل صلاحهم في توات ولا تافيلات، ولا في الفايجة إلا أن الماء لا يجري وحده بل يستخرجونه بالبغال والحمير والإبل ويحط فيه من العربات ملا يحدوا ولا يوصف ويجلبون إليها من الصوف والسمن والغنم والزرع ...».

أما ما ذكره عن أولاد نائل[2] تحدث في مجمله عن عاداتهم وطبائعم وقال أنهم أهل خير لدرجة أنه طلب من الله أن يكثر من أمثالهم فقال: « كثر الله في عرب المسلمين من أمثالهم، وهم أهل بيت الرحمة ما رأيت ولا سمعت من يعظم العلماء، وحملة القرآن مثلهم، ولو إني رأيت فيهم من البر والرحمة والرأفة الحنان ما لم أره في والي ...»[1] .

---

[1] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص99.

[2] ذكرهم بن خلدون؛ «بأنهم من عرب الهلالين الذين دخلوا إفريقيا أواسط المائة الخامسة»، استقروا بإيالة طرابلس الغرب، وتسمية العرب الهلالين بالنوايل.هي قبائل تمتد أراضيها بين مسيلة وبوسعادة والأغواط والجلفة.أنظر: مذكرات الحاج أحمد شريف زهار، تح. احمد توفيق المدني، ص 52. أنظر:عامر محفوظ؛ **تحفة السائل بباقة من تاريخ أولاد نايل**، ص ص 12-13.

[1] عبد الله كروم؛ المرجع السابق، ص100.

– **فوائد جغرافية:** تمثلت هذه في الوصف الجغرافي لبعض المناطق التي مرّ بها منها"الأطلس الصحراوي التي قال فيه: « وصلنا جبل الصحاري، وفيه منازل نائل، وهذا الجبل ما رأيت مثل طوله وكثرة أشجاره، وطولها، وفيه الأنهار المطردة والطيور المغردة»[2].

– **فوائد تاريخية:** أهم الفوائد التاريخية التي ذكرها عبد الرحمان بن إدريس التنلاني هو ذكره لمجموعة من العلماء الذين التقى بهم بداية من جماعات الإباضية وصولا بعلماء الجزائر الذي كان له جلسة معهم والتعرف على معظمهم منهم: "قاضي المالكية سيد الحسن بن سيد الحاج مصطفى الجزائري"وغيرهم من العلماء الذي عاصرهم أثناء وجوده في الجزائر[3]، وتعتبر رحلته مصدرا مهما للقيم التاريخية التي كشفت النقاب عن حملة اللورد "إكسموت"على مدينة الجزائر[4] الذي هجم مدينة الجزائر عام (1231هـ/1816م) الذي وضع حدا للبحرية الجزائرية، فأحرقت أغلب السفن ودمر على إثرها جزء من مرسى الجزائر قتل (1500) من السكان وأطلق سراح كل الأسرى[5] ، فقد وصف التنيلاني هذه الأحداث بالتصوير الدقيق للمعركة الحاصلة بين إكسموت قائد الأسطول الإنكليزي والهلندي ، وعمر باشا الذي تولى الحكم في سنة (1230- 1232هـ/ 1815- 1817م)[6] .

كانت هذه بإيجاز أهم المحطات التي مر بها عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني في رحلته التي كانت بدايات انطلاقتها من تنيلان أحد الأقاليم التواتية بأدرار مرورا بمتليلي وغرداية وإقليم التيطري (المدية) وصولا بالجزائر العاصمة، التي احتوت على العديد من الفوائد الإخبارية في المجالات الجغرافية والاجتماعية والتاريخية والعلمية .

---

[2] عبد الله كروم؛ المرجع نفسه، ص100.

[3] عبد الله كروم؛ نفسه، ص101 .

[4] سليمان دهان؛ المرجع السابق، ص25 .

[5] ناصر الدين سعيدوني؛ **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية**، دار البصائر، الجزائر، ط2، (د ت)، ص ص 158-271.

[6] الحاج احمد شريف زهار؛ **مذكرات** الحاج احمد شريف زهار نقيب أشراف الجزائر، تح. احمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 117.

المبحث الثالث: الرحلات خارجية

أولا: رحلة المقري (1009-1051هـ/ 1601- 1632م)

أ- التعريف بالمقري: أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبو العباس بن مُحَمَّد المقري الملقب بشهاب الدين، ولد عام (986 هـ/1577م) بتلمسان[1]، وبعض المراجع تشير إلى أنه ولد في (100هـ/1592م)[2]، نشأ وتثقف في تلمسان وأن مقرة[3]التي ينسب إليها المقري هي من أعمال قسنطينة بإقليم الجزائر، رحل إلى فاس وقطن بها وحصل له من العلم ما يذكر[4]، كان يذكر محاسن تلمسان وجمالها وهو في المغرب والمشرق مع مقارنتها بفاس ودمشق، بينما هو يستعد للسفر مرض وتوفي في سنة (1051هـ/ 1632م) .

ب- رحلات المقري: بعد أن تاقت نفسه لزيارة العواصم العلمية بالمغرب الأقصى رحل إلى فاس في (1009هـ/1601م)،كانت زيارته في عهد السلطان زيدان السعدي بن المنصور أبو العباس، إذا لم يطل الإقامة فيها إلا شهور و عاد منها في أواخر العام نفسه إلى تلمسان[1]،ليبدأ منها في سنة (1013هـ/1605م) زيارته الثانية لمدينة فاس، وانتهت هذه الزيارة من مدائن المغرب بتوجه المقري إلى المشرق، في أواخر شهر رمضان (1027هـ/ 1619م) كانت رحلته في البحر الشامي رحلة مثيرة يظهر أنها كانت أول عهده بركوب البحار، وقد صوّر لنا المقري أهوال هذه الرحلة في صورة أدبية على

---

[1] يحي بوعزيز؛ **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2009، ص166 .

[2] مُحَمَّد عبد الغني حسن؛ **المقري صاحب نفخ الطيب**، مجلة الكتاب العربي، الدار المصرية للتأليف والنشر، ع. 23، القاهرة، (د ت)، ص23.

[3] إن بلدة مقرة التي ينسب إليها أباء المقري التي انتقل منها احد أجداده المسمى عبد الرحمان إلى تلمسان.

[4] عبد الكريم الفكون؛ **منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولايه**، تح. أبو القاسم سعد الله؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ،1987، ص 223 .

[1] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص ص212 -213 .

طريقة السجع والصنعة في البيان[2] فقال: « فكم استقبلتنا أمواجه بوجهة بواسر طارت إلينا من سراعة عقبان كواسر قد أزعجتها أكف الريح من وكرها،كما نبهت اللّجج من سكرها فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها فسمعنـــا للجبال صفيرا، وللريـاح دويا ... فلم نجد من ذلك الأفضل الله مجيزا وخفيرا ...» [3]، من خلال هذا فقد صور لنا المقري أخطار الرحلة فقال :

البَحْرْ صَعْبْ المـَرَام جِدًا لَا جَعَلْتُ حَاجَتِي إِلَيْهِ [4]

إلا أنها انتهت عندما تراء له ساحل الإسكندرية فرح فرحا شديدا وبدأ عليه لارتياح ووصف المشهد بقوله: « فرأينا البر وكأنا لم نره، شفيت به أعيننا من المرة وحصل بعد الشدة الفرج... فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب...، ثم وصلنا إلى مصر المحروسة فشفينا لرؤيتها من الأوجاع وشهدنا كثيرا من محاسنها... »[5].

في رحلته هذا أخد طريقه إلى ميناء تطوان على ساحل البحر المتوسط الغربي وصولا بالطرق البرية قاطعا الأوطان، ومن الإسكندرية انتقل المقري إلى القاهرة واستقر بها حوالي عام يدرس، فتكونت له معرفة بنشاط الحركة الفكرية بجامع الأزهر الشريف الذي كان بمثابة جامعة إسلامية كبري تأوي الآلاف من الطلبة والعلماء من مختلف البلدان الإسلامية، بعد مصر قرر المقري الرحيل للحجاز وأداء فريضة الحج، انطلق من سفريته هذه عن طريق البحر إلى جدة ومنها إلى مكة أدى مناسك العمرة والحج وسافر إلى المدينة المنورة، لتنتهي رحلته بالعودة إلى القاهرة في سنة (1030هـ/ 1620م) ليشد رحاله إلى فلسطين وزيارة بيت المقدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة .

---

[2] مُحَمَّد عبد الغني حسن: المرجع السابق ، ص ص 26 -31.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 169- 170 .

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، البصائر للنشر، الجزائر، (د ت)، ص 368 .

[5] يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص 170 .

بعد هذه الجولة في معالم القدس وفلسطين عاد احمد المقري إلى القاهرة ليتقرب من عائلة الوفائية[1] فهي تتمتع بحضوة وجاه[2] فاحتل خلالها مكانة مرموقة في القاهرة نظرا لمكانته العلمية والفكرية، فاتخذها مستقرا له بعد زواجه[3]، إلا أن استقراره هذا لن يطول مما زاد في شقائه وشعوره بالعزلــة ومعاكسة الحياة له[4].

–رحلته إلى دمشق: لم يتجه عزم المقري إليها إلا في سنة (1037هـ/1627م) حط بها رحاله للزيارة ووصفها بأنها المدينة التي ظهر فضلها وبـــان، ذات الفضل والاحتشام،وأورد خلالهــا قريحتــه الشعرية قائلا:

" بِحَيْثُ الرَّوضُ وَضَّاحُ الثَّنَايَا اَنِيقُ الحُسْنِ مَصْقُولْ الأَدِيـــمْ

تَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ طَـــلَاوَةَ دِمَشْقُ التِي رَاقَتْ بِحُلُوِ المَشَارِبْ

لَهَا فِي أَقَالِيمْ البِلَادِ مَشَارِقْ مُنَزَّهةِ أَقْمَارُهَا عَنِ مَغَـارِبْ"[5]

أقام المقري في دمشق حوالي أربعين يوما تعرف على المدينة وعلمائها فذكرته بوطنه الجزائر، ومسقط رأسه تلمسان ومهجره الأول المغرب الأقصى وبلاد الأندلس الضائعة، فأضنب في وصف ما رأى[1]، فكان كثير الشوق إلى وطنه رغم ما وجده من حفاوة وتكريم كثير التمثيل بالأشعار بذلك

---

[1] عائلة ثرية دينية؛هي التي كانت تتولى وظيفة نقيب الإشراف ولها طريقة دينية صوفية تتبوأ مكانة اجتماعية بفضل غناها وبرها. انظر: كتاب عبد الكريم الفكون؛ **منشور الهدايا في كشف حال من ادعى بالعلم والولاية** ،تح. أبو القاسم سعد الله ، ص224 .

[2] مُحَّد عبد العني حسن؛ المرجع السابق، ص43 .

[3] يحي بوعزيز؛ المرجع السابق ،ص 172.

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ **دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دار البصائر للنشر، الجزائر، ط2، 2013، ص 233.

[5] مُحَّد عبد الغني حسن؛ المرجع السابق، ص 43 .

[1] يحي بوعزيز؛ المرجع السابق، ص173.

المقري من أوائل المثقفين الجزائريين الدين كرروا موضوع الحنين إلى الوطن بهذه القوة[2] ربط المقري صلاته بمفتي دمشق الشيخ عبد الرحمان ابن شيخ الإسلام عماد الدين وعرفه بدوره على علماء دمشق، أعتكف على تدريس صحيح البخاري حتى مراسم ختمه له[3].

ج- الفوائد الإخبارية لرحلات المقري:

تعددت الفوائد الإخبارية لرحلات المقري وفي مجملها كانت علمية أكثر منها سياحيـة وجغرافية، من خلال رحلته إلى فاس فكان له نشاط واسع سمح له أن يتعرف عليه الفقيه إبراهيم بن مُحَمَّد الآسي أحد قواد السلطان أحمد المنصور الذهبي كانت له قرابة بسلطان مراكش في تلك الفترة، تعرف على العالم التنبكتي المشهور أحمد بابا الذي كان في إقامة جبرية بعد غزوا السلطان احمد المنصور لبلاده استفاد من علومه ومعارفه.

كانت الرحلة المراكشية سببا في تأليفه كتاب " روض الأنس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيه من إعلام مراكش وفاس"، في مجملها رحلته إلى المغرب الأقصى تضمنت أخبار سياسة تخص البلاط الملكي أواخر عهد منصور الذهبي التي عمها الاستقرار في الحكم والرخاء والفترة التي بعد منصور الذهبي التي شهدت تنازع أبناء المنصور الذهبي والغارات الاسبانية والبرتغالية على مدن وسواحل المغرب، بعد أن تم طرد مسلمي الأندلس عام (1019هـ/1610م) واستيلائهم على مدينة العرائش التي سلمها لهم الشيخ المأمون، مقابل مساعدتهم له على الاستيلاء على عرش فاس، هذه الأحداث جعلت المقري يغادر فاس باتجاه الحجاز[1].

- فوائد جغرافية و أثرية :

---

[2] القاسم سعد الله؛ المرجع السابق، ص 216.

[3] يحي بوعزيز؛ المرجع السابق،ص 173.

[1] يحي بوعزيز؛ المرجع نفسه؛ ص ص 167- 178.

تضمنت في أوصاف المقري طريقه إلى تيطوان وسواحل البحر المتوسط الغربي و لمحطات التي سلكها في رحلته، وهذا ما قاله : « ... ثم جد بنا السير في البر أياما ونائينا الأوطان التي أضنبنا في الحديث حبا له ... ، إلى أن ركبنا البحر و حللنا منه بين السحر والنحر ...» .كما ابدي لنا جانبا من الصراع المسيحي على السواحل المتمثل في فرسان مالطا ، ووصف المعالم العمرانية والأثرية.

أما رحلته إلى الحجاز تضمنت تقيدا للمعالم الدينية خاصة قبر الرسول ﷺ، وسفره إلى فلسطين زيارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكانت فائدة الرحلة معالم فلسطين الحضارية الدينية المعمارية أسفرت في إفادته معنويا و علميا.

ما أورده المقري لنا عن دمشق إعجابه بدمشق ذكرته بالجزائر مسقط رأسه أثارت في نفسه ذكريات عزيزة، إضافة إلى ختمه لصحيح البخاري كان يوما مشهودا في احتشاد أهل دمشق حوله أهم ما أورده المقري فوائد إخبارية علمية خاصة أنه ألف كتاب[2] عن لسان الدين الخطيب[3]والإجازات العلمية التي منحها لطلبة العلم، فقد كتب إجازات شعرية تقارب الثمانين بيتا وهذا يعكس الدرجة العلمية الرفيعة والعالية التي يتمتع بها المقري[4].

ثالثا: رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1114 –1175هـ/1702–1761م)

أ– التعريف بأبي العباس الهلالي:

عاش أبو العباس الهلالي في العصر العلوي الذي امتد من ميلاده إلى عام (1139هـ) وهي فترة السلطان "مولاي إسماعيل " فترة الأمن والازدهار، فنشأ الهلالي في سجلماسة ثم انتقل إلى الحواضر

---

[2] لسان الدين الخطيب وزير غرناطة (761هـ/1360م) الذي فر مع السلطان المخلوع الغني بالله، من الشخصيات الأندلسية البارزة، استتار بزعامة التفكير والكتابة، التقى بابن خلدون عبد الرحمان وعاصره. أنظر: أحمد المقري؛ **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، مج1، ص102.

[3] يحي بوعزيز؛ المرجع السابق،ص ص 169-174.

[4] مُحَمَّد عبد الغني حسن؛ المرجع السابق، ص63 .

العلمية لتعزيز تحصيله في مختلف حقول المعرفة، وشدّ الهلالي رحلته إلى الحج وأحتّد في التأليف والإفتاء، وهذه الأعمال الجليلة والشخصية القوية ميزته عن الكثير من رجال العلم، حيث قال فيه شيخه المبارك: « لولا الأحمدان لذهب المعقول من المغرب».

كما أنه نال العلم عن نخبة من علماء مغاربة ومشارقة وتلقى عنه بدوره جماعة من طلبة العلم وصاروا من بعده أعلام وفطناء، وخلف الهلالي كتبا ورسائل علمية ومقيدات في فنون العلوم وانضماما في التصوف والأخلاق والتراجم والأدب، يقرر الهلالي في رحلته أن الله خصه بموهبة شعرية فوجهها وجهة أخلاقية[1] .

ب – رحلات أبو العباس الهلالي : (1114–1175 هـ/1702–1761م)

كانت وجهة الهلالي باتجاه المشرق قاصدا الحج و طلبا للعلم، وانطلاقة هذه الرحلة من الزاوية الزينية في سنة (1150هـ/1737م) يرافقة عدد من أشراف سجلماسة رفقة ركب الحج سالكين طريق الركب السجلماسي إلى أن انتهى المسير في تزور، وحط الركب في مدينة القنادسة ما جعل الهلالي يغتنم و ينهل من العلم ويكتشف النوادر التفافية، هذا ما عكس رحلته التي تميزت بالسهل المسترسل على هذا المنوال اللغوي، مضى في رحلته واصفا المحطات التي سلكها، وهي الطرق التي فصلها العياشي وابن ناصر وأبي مدين الدرعي، ومن بين المحطات التي ذكرها بعد سجلماسة، القنادسة ثم بتلغمت[1]، وواد الصفاف الذي يقع بين بيرات السهيل ووادي كير، ضحوة واد القنادسة، واد المعدر، أم الياس[2]، بوسمغون، عين ماضي، الغاسول[3]، عين ماضي بالأغواط وما ذكره الهلالي عن هذه المدينة أن أهلها الكثير منهم يحفظون القرآن ويقرؤون مختصر الشيخ خليل ورسالة بن أبي زيد

---

[1] السجلماسي؛ **رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1114هـ– 1175هـ)** ،تح. بن علي محمد بوزيان،تق. بوحسن أحمد، مطبعة الجسور، الرباط، ط1، 2012 ، ص ص15- 53 .

[1] هي موضع فيه واد كبير ذو شجر كثير، وماء عذب فحمل منه المارين به الماء.

[2] اسم موضع يقع جنوب غرب فجيج.

[3] إحدى بلديات ولاية البيض تبعد عنها 60 كلم مر عليها العياشي وسماها وادي الغاسول .

وصغرى السنوسي، ووصف استقبال أهل الأغواط بقوله: «ولما رأى أهل الأغوط ركبنا استقبلوه فخوفونا غاية من الأعراب التي أمامنا حتى قالوا أإما أن تصبروا هنا إلى أن يقدم الركب الفاسي ..وأما أن ترجعوا...فإنا نخاف عليكم الأعراب...»

فما كان رد فعلهم إلا أن يتوكل على الله،و نظم أبو العباس هذا الصدد منظومة[4].

وهي في إطار توسلي من أجل الحفظ والرعايا الربانية من مخاطر الطرق وأهوى لها والتي جاء فيها :

حَمْدَ الإِلَهَ خَيْرَ مَا بِهِ قَرْعَ بَابَ الكَرِيمِ سَائِلٍ حِيْنَ شَرَعْ

سَبْحَانَهُ مِنْ مَالِكٍ وَوَاهِبِ حَافِظُ كُلَّ سَالِكٍ وَذَاهِبْ

نَسْأَلُكَ النَّجَاةَ مِنْ شَرِّ الزَّمَانِ يَا رَبَنَا وَتَوّبْ سِتَرْ وَأَمَانْ

أَلْطُفْ بِهَذَا الرَكَبْ لَطْفًا لَا بِرَّ سُوءٍ يَحُومُ حَوْلَهُ وَلَا حَذَرْ[5].

كانت هذه التوسلات بالنظم من الشواهد على أثرها وبركتها في مواصلة ركب الحج سيره باتجاه المشرق بعد أن حط رحاله في عدة مناطق من الجنوب الجزائري، وأهم الحوا ضر التي تزود وأقضى وقتا معتبرا، وستتم توضيح هذه المحطات في ملاحق الآتية ذكرها، خاصة أن الهلالي رحل إلى الحجاز بقصد الحج مرتين.

ج- قيمة الرحلة: أول ما يتبين من دراسة الرحلة أنه سلك الطريق المعهود لدى الركب السجلماسي مع اختلافات يسيرة، تأثر من السابقين في تدوين رحلاتهم بالتركيز على المواقع الجغرافية ووصف الجوانب الطبيعية والاقتصادية الاجتماعية والسياسية والدينية والتفافية والتاريخية... ، على الاختلاف في درجة الاهتمام، وأن قيمة رحلة الهلالي أخذت من كل ذلك بطرف، ومن بين الجوانب:

---

[4] السجلماسي؛ المصدر السابق، ص 63 - 69 ،101 -106،114 ، 131 ،141 .

[5] المصدر نفسه؛ ص 63، 66 ،145.

– **جوانب سياسية:** في رحلة الهلالي هاته إشارات سياسية وعسكرية سمحت بإضافة معلومات مفيدة وجديدة على قلتها حول حكم الأتراك بتونس، وأنواع من الأسلحة علاوة على انطباعات وملاحظات آخري .

– **على المستوي الجغرافي:** ألقى أضواء على أماكن لم يثرها غيره وعني بتعريف المواقع وتحديدها يتراوح الوصف بين الدقة والاختصار وهذا الاهتمام لم يمس إلا المواقع بل امتد إلى المسالك والطرق ويتمثل ما ذكره: «... فبتنا قرب المغرب في موضع يعرف بالزريق في جنوب جبل عنتر، وفيه ماء قليل، أورد الناس منه الدواب ثم ارتحلنا في الغد وبتنا في موضع يقال له المعدر على غير ماء...»، وعني الهلالي ببعض الظواهر الطبيعية كالمطر وشدة البرد والعواصف.

– **أما قيمها التاريخية:** فقد جمعت بين اعتنائها بتاريخ سير الرجال والأماكن ومراكز العلم والتصوف وتاريخ المذاهب والنحل، وبلغ في وصف بغضها مستوى معتبر من التفاصيل الكاشفة المقيدة، ولم يفته استدعاء المصادر المطلعة كلما أراد أن يوثق معلوماته عن علم مجهول لديه من أمثلة هذه في شخصية " خالد بن سنان، حيث استعان بفصله طويلة من رحلة العياشي[1].

– **القيم الاقتصادية لرحلة أبي العباس:** من خلال تعرضه لبعض الإفادات المتعلقة بظواهر الأسواق في (الغلاء، الرخاء،الوفرة، الحاجة، الطلب،العرض، الرواج، الكساد، الجودة والرداءة، طرق الكسب، المعاملة، المجاعة، الموت، ويطلبون الجلود المدبوغة والعطر للشراء...، وزعموا أن السعر عندهم رخيص... ويبيعون الثمر وهو عندهم كثير ومع ذلك غال جذا....)

الفوائد الاجتماعية: أولى الهلالي في رحلته اهتماما غير كبير بهذا الجانب في المراكز التي حل بها متحدثا عن الجوانب السلبية كاللصوصية والسلب والنهب والأخرى منها إيجابية كالكـرم والأخلاق وبعض العادات والتقاليد، وما غطى هذا الجانب العناية الفائقة بالمجال التفافي والفكري الذي خصص

[1] السجلماسي؛ المصدر نفسه، ص ص 66- 72 .

له مجال واسع تضمن التعاريف بالإعلام، توثيق عدد من مشمولات خزائن القنادسة وفجيج في أشد اللحظات، الفتاوى المتنوعة من المصادر المالكية والقصائد التوسلية التي خصص لها حيزا كبيرا، كون أن الهلالي أديبا شاعرا ولغويا وبدا ذلك جليا في رحلته[1]، من هذه الاستشهادات" فقد تعرض أهل تجموت للركب يعرضون البرانس للبيع".

ثالثا : رحلة أبي رأس الناصري

أ– التعريف بالرحالة: هو الشيخ مُحَّد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر الناصري[2]بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن جليل[3] الراشدي المعسكـــري المولود بناحية جبـــل كرســوط في سنــة (1150هـ/ 1737م) استوعب العلوم الدينية العربية، تولى منصب التدريس والقضاء والإفتاء ألف في مختلف الأغراض والفنون[4]، فعاش حياة متقبلة وغنية بالتجارب، تنقل خلالها في أنحاء القطر الجزائري

من غربه إلى شرقه، وذاق شظف العيش وسكن الحواضر[1] أنتقل إلى العديد من الأقطار واتصل بعلمائها وحج مرتين، الأولى عام (1204هـ/ 1790م) والثانية سنة (1226هـ/1812م)،ومن بين الأقطار التي ارتحلها تونس ومصر والشام والمغرب[2]، توفي في سنة (1238 هـ/ 1823م) بعد أن ألف كتاب يجمع فيه سيره الذاتية وعلومه ومشايخه وأسفاره سماه "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"[3].

---

[1] السجلماسي؛ المصدر نفسه ،ص72.

[2] ARNAAUD ;Volages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abo ras enasri Rave Africaine27 Volumes à télécharger ,1883.

[3] دهان سليمان؛ المرجع السابق، ص29.

[4] حنيفي الهلالي؛ المرجع السابق، ص218.

[1] مُحَّد أبو راس الناصري؛ **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" حياة أبي راس الذاتية**" تح.مُحَّد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص5 .

[2] حنبفي هلالي؛ المرجع السابق، ص219.

[3] مُحَّد أبو راس الناصري؛ المصدر السابق، ص 15 .

ب- رحلات أبو راس الناصري: أبو راس الناصري من العلماء الجزائريين الدين أكثروا من الترحال والكتابة[4] ومن رحلته التي ضمنها أو قيدها في كتاب وقسمه إلى خمسة أبواب شمل الباب الأول منه في ابتداء أمره، أما الباب الثاني كما ذكر في عدة أشياخه والباب الثالث فيما يخص رحلته إلى الحجاز، أما الخامس منه أوجزه في الحديث عن تأليفه.

كانت انطلاقة هذه الرحلة من الإيالة الجزائرية وحواضرها الشرقية الغربية بعد أن التق بعلمائها ،ثم رحل إلى القاهرة وكانت وجهته إليها بحرية من جملة ما ذكره أبو راس الناصري عندما حط رحاله فيها دار العلوم والعلماء الكبار، وأهم المعال الأثرية والإجازات العلمية التي تلقاها من علماء مصر إذ يقول في المشايخ الدين أجازوه: « وأجازني بالباقي، ثم كتب لي إجازة نص بعضها: أني أجزت الفقيه العالم المتفنن الحافظ فلان » ومن بين المشايخ الذين أجازوه " الشيخ المرتضى وغيرهم من العلماء الذي يطول الحديث عن ذكرهم[5].

وسلك أبو راس طريق الحج العادي ورحلته هذه بحرية مسارها من مصر كب إلى ينبع ومنها إلى مكة المكرمة ، فالمدينة المنورة، وكان ذلك مسلكه ف كلتا الحجتين يتبين لنا ما سجله في سنة (1226 1227هـ/ 1811-1812م)[1] أي أنها التقى بعلمائها الوهابين والمناصرات التي دارت أو حصلت بينه وبين علماء مكة والمدينة والتي يقول عنها: رحلت إلى" أم القرى ذات المكارم ولعلى...التي لا بغيرها تقاس"، ومجمل رحلته الحجازية من الرحلات العلمية التي تناظر فيها مع علماء الوهابية وهم تسعة من أكابر جماهيرهم وأفضلهم ، أما زيارته إلى المدين وقف خلالها على المعالم المقدسة.

---

[4] أبو القاسم سعد الله؛ **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج2، المرجع السابق، ص159.

[5] أبو راس الناصري؛ المصدر السابق، ص ص 15-17 .

[1] أبو القاسم سعد الله؛ **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، دار الرائد، الجزائر،ج1، ط، خ، 2009 ، ص ص 186- 187.

بعد ما أوجزه الناصري من أبحاث ومناظرات مع العلماء رحل إلى الشام وتعارض مع علمائهـــا في مسائل فقهية ،ثم ليشد رحاله إلى الرملة[2]، التي التقى مع علمائها وأكرموه ،ورحل إلى غزة وزارقبر أباء النبي ﷺ والتقى مع علمائها وأمرائها ما قاله في هذا الشأن: « ... رحلت إلى غزة فزرنا قبر سيدن هاشم...، ولقيت علمائها وأمرائها، فضيفوني وأكرموني وتناظرنا في مسائل من الفقه ... فاعترفوا لي بالعلم والفضل...»، أما رحلته التي قام بها إلى العريش قال عنها: « فلم أجد بها علما آنس إليه ويكون التعويل عليه»[3].

ج– الفوائد الاخبارية لرحلة أبي رأس الناصري :

– الفوائد التاريخية:

تبرز أهمية هذه الرحلة في كونه انتقل إلى العديد من الأقطار، وتعرف على أوضاعها واتصل بعلمائها، وقد حج مرتين وانتقل إلى الجهات الشرقية من الجزائر وزار تونس مصر والشام وفلسطين،كما توجه إلى المغرب الأقصى وقصد السلطان العلوي"مولاي سليمان ومكث مدة بتطوان وفاس ومن بين الأحداث والتطورات التي عاصرها منها على المستوى المحلي في الإيالة الجزائرية وضواحيها وأخرى خارجية رصدها في رحلاته من هذه الأحداث:

– الحملة الفرنسية على مصر والشام وتولي مُحَّد علي أمر مصر وإدخال إصلاحات إلى الدولة[1].

– هجوم الانكليز على الجزائر (حملة اللورد اكسموت 1816)،و فتح وهران الثاني (1791م) وتمرد الدرقاوة بالغرب الجزائري، والصلح الذي عقد بين الجزائريين والأسبان على عهد مُحَّد عثمان باشا،وغارات النصارى على الجزائر.

---

[2] الرملة إحدى مدن فلسطين.

[3] مُحَّد أبو راس الناصري؛ المصدر السابق، ص ص 118 – 120 .

[1] ناصر الدين سعيدوني؛ المرجع السابق، ص 494 .

– الفوائد علمية:

تعد من الأحداث الخارجية أبرز لنا ما كان سائد في الجزيرة العربية كظهور الحركة الوهابية بالجزيـرة العربية العثماني وضم أخبار عن بلاد المغرب من حدود مصر إلى مراكش، وأنساب الأولين وأخباره، أكتسب أبو راس الناصري ثقافة واسعة، وساعدته على ذلك حافظته القوية وعرف" بحافظ المغرب الأوسط، كانت له اتصالات وعلاقات بالعديد من علماء عصره منهم:" مُحَمَّد الصادق أفغول ومُحَمَّد بن جعدون وأحمد بن عباد ومُحَمَّد بن الشاهد وعلي بن الأمين وحمد بن مالك بمدينة الجزائر. وأحمد بيرم التونسي وعبد الله الشرقاوي ومُحَمَّد الأمير بمصر وغيرهم من علماء الذين عاصرهم"[2].

معرفة المذاهب السائدة في الجزيرة العربية و مما أورد في حديثه : « علمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع أما العقائد فهم على ما عليه الإمام أحمد »[3].

تعرض إلى أخبار المغرب الأقصى ولأقاليم الصحراء وبلاد السودان، مع إشارات مهمة تتعلق بالتجارة والعادات في تلك البلاد، خاصة في كتابه "عجائب الأسفار الذي يعد مصدرا مهما ومرجعا أساسيا في الفترة التي عاشها ونضرا لهذه الأهمية التي يحتوي عليها نال اهتمام المشتغلين بالتاريخ فقام آرنو بترجمة رحلاته بعد أن نشرت منه فصول في المجلة الإفريقية.

مما سبق يتضح لنا أن الجزائريين أسهموا مساهمة واضحة في كتابات الرحلات خلال الفترة العثمانية التي تراوحت رحلاتها بين نهايات القرن السابع عشر والثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر التي تنوعت في مجملها بين رحلات داخلية تحمل في جوانبها الكثير من القيم الإخبارية لمجالات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية غطت مجالات واسعة من جغرافية الإقليم الجزائري وهي بمثابة مصادر حية لا يستغني عنها أي باحث عند كتابة التاريخ المحلي لدراسته لتلك الفترة السالفة الذكر،

---

[2] ناصر الدين سعيدوني؛ المرجع السابق، ص 494.

[3] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق ،ص 187.

خاصة أن الكثير منها كتب بأقلام جزائرية، كما أن الرحلات الخارجية لا تقل أهمية عن سابقتها لأنها اعتبرت موسوعة أخبار عن العالم الإسلامي منه المغرب الإسلامي والحجاز ومصر ودمشق رغم اختلاف ظروف رحلاتها بين العلمية والإطلاع على البلدان وحج بيت الله الحرم،كل هذه الرحلات في مجملها شواهد تاريخية إخبارية لشعوب وقبائل ومعالم أثرية ،التي لا ينتابنا الشك في صدق وتحري أخبارها في ظل كثرة المصادر الأوربية في الجزائر الفترة العثمانية وابتعادها عن الموضوعية.

الفصـــــــــل الثانـــــي:

الرحلات النظمية من خلال

الشعر الفصيح

المبحث الأول: الشعر الفصيح ومجالاته الاجتماعية

المبحث الثاني: رحلة عبد الرحمان المجاجي

المبحث الثالث: رحلة إبراهيم بحمان المصعبي

بعد أن تعرضنا في الفصل السابق للبعض نماذج من الرحلات الداخلية والخارجية وتوصلنا في النهاية بأنها شواهد تاريخية إخبارية لشعوب وقبائل ومعالم، تعرضنا في هذا، الفصل للرحلات المنظومة بالشعر الفصيح وقبل أن نغوص في أغوار الرحلات المنظومة عرجنا الحديث عن الشعر الفصيح ومجلاته في لجزائر الفترة العثمانية باعتباره مرآة عاكسة للأحداث، ثم الحديث عن رحلتين منظومتين بالشعر الفصيح أولها رحلة عبد الرحمان المجاجي وثانيها رحلة براهيم بحمان المصعبي، فضلا عن المنظومة بالشعر الملحون سنتحدث عنه في الفصل الموالي، وما جاء هذا التدوين الرحلي إلا لهدف واحد هو تسهيل حفظها وتداولها بين عموم الناس ليهتدوا بها في مسالكهم للبقاع المقدسة[1].

المبحث الأول: الشعر الفصيح ومجالاته الشعرية في الجزائر الفترة العثمانية

أ- مفهوم الشعر الفصيح:

الشعر الجزائري هو تعبير عن صدى الأحداث والصراعات الفكرية والتيارات التي وجدت لظروف ما والشعر الفصيح هو الذي يطلق عليه: الموزون، يعرفه أبو راس:« بأنه ميزان الأدب وزينة الألباب ومورد الحكمة وفصل الخطاب وسبيل مسلوك، وأنّ فضل الشعر يزيد عندما يكون فـي مدح الرسول -ﷺ- » وإنّ الفترة العثمانية ساعدت على انتشار المدائح النبوية[2].

أولا : الحياة السياسية من خلال الشعر الفصيح :

ما يذكره أبو القاسم سعد الله عن الحياة الثقافية الفترة العثمانية:«أن نتاج هذه الفترة ينحصر في الموضوعات الدينية والتعليمية وقليل من الشعر وبعض الشعراء وكتاب التاريخ والرحالة ومكانتهم مازالت تحتاج إلى تقييم ودراسة في ضوء الوثائق التي يعثر عليها الباحثون لوقت لآخر»[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص ص242-243.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع نفسه، ص243 .

[3] أبو القاسم سعد الله؛ **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال** ،عالم المعرفة للنشر،الجزائر ،2005 ، ص159.

ومن خلال هذا فإن الشعر السياسي في الفترة السابقة الذكر،كان يتواجد إلا في مناسبات محدودة تمثلت في الجهاد ضد الأجانب خصوصا الأسبان ومدح بعض الأمراء والحكام في سبيل ما يدفعونه من مال وكان محوره في جانب الأتراك يتراوح بين المدح والذم.

والشعر السياسي يحمل في محاوره فترات الحكم العثماني عند مرحلة استقراره بمدة أطول، وفترة اضطرابه كذلك، ويدرس كذلك وجهتين رئيستين هما على وجه الخصوص فنية وتاريخية، لنبدأ بدراسة هذه الأخيرة ثم بعد التي تسبقها.

أ – شعر الجهاد: لنبدأ بشعر الجهاد والذي نقصد منه مجابه غير المسلمين[1] وردهم على أعقابهم فإنه ينحصر في رد غارات الأعداء وطردهم من السواحل الجزائرية خاصة منها " وهران ومرساها "، وإذا كان العثمانيون قد ساعدوا الأهالي في طرد الأسبان من شرشال وجيجل وعنابة ومستغانم، فإن تواجدهم في هذه المناطق يعد رمزا لاستمرار الجهاد والدعوة من قبل رجال الذين والشعـراء وأنّ جل الشعر السياسي يتمحور حول هذه النقطة، وأصبح عند بعض الشعراء ميزان الولاء[2] أو الثورة ضد العثمانيين، ومن بين الأشعار السياسية أشعار " عبد الرحمان بن موسى " في قصيدته التي يشيد بها في انتصار باشا الجزائر والغرب يقول فيها:

هَنِيئًا لَكَ بَاشَا الجَزَائِرْ وَالغَرَبْ بِفَتْحِ أَسَاسِ الكُفْرِ مَرْسَى قُرَى الكَلْبِ

هو من أوائل العثمانيين الذين جاهدوا ضد الأسبان، وفي أوائل القرن (11هـ/17م) اتجهت المهمة من جديد للضغط عليهم وظهرت علامات الاستعدادات لمحاربتهم وكان ذلك في في عهد حسن خوجة الشريف[3] ، تولي منصب الحكم بين (1169-1171هـ/1705-1707م) [4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق، ص225.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع نفسه، ص225.

[3] المرجع نفسه؛ ص225.

[4] يحي بوعزيز؛**الموجز في تاريخ الجزائر1–2 القديمة والوسيطة والحديثة** ،دار البصائر للنشر، الجزائر،(د ت)، ص 130.

وانتخب لمنصب الدايوية (1117 هـ/1705م)[1] ،فأنطلق الشعراء يستحثونه و يصفون سوء أحوال المسلمين تحث حكم الأسبان و من هؤلاء الشعراء مُحَّد بن علي المعروف بابن آفوجيل جاء فيها :

جَهِزْ جُيُوشًا كَالأُسُودِ وَسَرِحْنَ تِلْكَ الجَوَارِي فِي عُبَابِ بُحُـــورْ

أَضْرِمْ عَلَى الكُفَارِ نَارَ حَرْبٍ لَا تَقْلَعْ وَ لَا تُمَهِلُهُـــمْ بِفُتُـــورِ

وَبِقُرْبِنَـــــا وَهْـرَانَ ضِرْسٌ مُؤلِمْ مُنْهِلُ إِقْتِلَاعٍ فِي إِعْتِنَاءٍ يَسِيرْ[2]

فهي متضمنة في قصيدة مؤثرة لغت سبعين(70) بيتا فيها أيضا نصائح للباشا ووصف لأحوال العلماء، وبعد حسين باشا تولى بعده مُحَّد بكداش باشا في[3] والذي يلقب بخوجة أيضا[4] ،تمكن هذا من فتح وهران سنة (1119هـ/ 1707م) وانطلقت السنة الشعراء من عقالها في الإشادة بانتصاره، وإن هذا النظم لم يقل في حاكم مثله في الجزائر خلال العهد العثماني نتيجة لانتصاره على الأسبان وقد تكفل ابن ميمون في كتابه " التحفة المرضية بذكر نخبة من شعراء أسرة البوني نجد منهم:"مصطفى بن عبد الله بن مُحَّد وأحمد أويحي بن أمجد بن أبي راشد وابن علي"، وغيرهم من شعراء عصره في هذا المجال.

ب– شعر الوطن:هو المجال الثاني من الشعر السياسي الذي المقصد منه التغني بشعر الوطن، وخاض في هذا المجـــال الشعراء الجزائريين الذين تغنوا بالجزائر مدينة وقطـــرا من هؤلاء أبي راشد يشير إلى الجزائر بقوله:

تَاهَتْ أَرْضُ الجَزَائِرِ وَاغْتَدَتْ زَهْوًا عَنْ غَيْرِهَا تَخْتَالُ[5] .

---

[1] عبد الرحمان بن مُحَّد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام** ، دار التفافة للنشر ،بيروت، لبنان، ط3 ، 1980، ص ص 206 -207.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص 254.

[3] المرجع نفسه، ص 254.

[4] عبد الرحمان الجيلالي؛ المرجع السابق، ص 207 .

[5] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق،ص 258.

ومن أبرز الشعراء الذين اشتهروا بهذا المجال أحمد المقري يقول :

بَلَدٌ طَابَ لِي الأُنْسُ حَنِينًا وَصَوْتُ العُودِ فِيْهِ وَالإِبْدَاءُ

فَسَقَتْ عَهْدَهُ العِهَادُ وَرَوَتْ مِنْهُ البَوَادِي الأَنْــدَادْ[1].

أغلب الشعراء الجزائريين الذين رحلوا عن وطنهم اتسمت ألحانهم بنغم حزين عنه والتفكير فيه ينغص عليهم لحظات الغبطة والمسرات العابرة[2].

ومُحَمَّد المستغانمي الذي نظم قصيدة في بكداش عنوانها " الكوكب الناثر في مدح أمير الجزائـر"يقول فيها:

فَدَعْنِي مِنْ غَرْنَاطَةِ وَرُبُوعِهَـــــا وَشَنْبِيلُ فَالْحُسْنُ إِنْتَهَى لِلْجَزَائِرْ

فَمَا تُفَضِلُ الحَمْرَاءَ بِالْبَيْضَاءِ عَادَةً مُفْرِطَةً بِالْبَدْرِ ذَاتَ غَدَايِـــرْ.

وعند فتح وهران الثاني على يد مُحَمَّد الباي الكبير (1205هـ/ 1790م) نشطت الحركة الأدبية على عهده خاصة الشعر وقد سجل أحمد سحنون في الثغر الجماني نموذج من الشعر الذي قيل في هذا الباي ومن بين القصائد التي خلدت مآثر هذا الانتصار قصيدة أبي راس الناصري :

فَنَـــمْ هَنِيئًا وَبِكَ النَصْرُ مَفْتُونٌ بِقَصْرِ وَهْرَانَ دَارٌ لَكَ مُخَلَـــــدْ

خَلِيلِي قَدْ طَابَ الشَرَابُ المَوَرِدُ لَمَّا أَنْ صَارَ الأَمِيرُ فِي الثَغْرِ مُحَلَّلًا .

وفي مدح هذا الباي له أكثر من عشر (10) قصائد أخرى كلها في نفس السياق[2] وله قصيدة في غزوة الباي للأغواط التي انتهت بمد نفوذه على الجهات الغربية للصحراء الجزائرية[3].

لو تتبعنا الشعر السياسي في العهد العثماني لوجدناه على قلته غنيا بالتجارب ولكن طموحات الشعراء ظلت محدودة لأن أصحاب الحل والعقد في الدولة كانوا لا يهتمون بالشعر.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 258.

[2] عمر بن قينة؛ **أدب الرحلة في النثر الجزائري**، مجلة الدراسات التاريخية، مجلة يصدرها معهد التاريخ،جامعة الجزائر، ع6، 1413هـ/1992م،ص209.

[3] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع السابق، ص 368.

[4] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص ص 258- 261.

ثانيا : الحياة الدينية والاجتماعية من خلال الشعر الفصيح

كانت بواعث الشعر قليلة ومن أهمها الباعث الديني، فالشعراء كانوا يسجلون مشاعرهم في المواسم الدينية المعروفة كالحج والمولد النبوي الشريف بنظم القصائد والموشحات، وكان الدين بأوسع معانيه من أهم الأغراض التي طرقها الشعراء لاسيما المدائح النبوية من خلال التشوق إلى زيارة قبر النبي صلوات الله عليه وإحياء مولده، ويدخل في هذا الصدد الشعر الصوفي والذي يتناول في موضوعاته التوحد إلى الله وقت الشدة، ومدح ورثاء الأولياء الصالحين ونحو ذلك من المواضيع التي يحصر ذكرها[1].

وقد أشتهر في ذلك أبو العباس أحمد بن عمار الأندلسي الأصل، مفتي المالكية (1179هـ/ 1766م) صاحب" لواء النصر في قلائل العصر" و" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" التي نورد منها ما قاله:

يَانَسِيمًا بَاتَ مِنْ زَهْرِ الرِبَا تَقْتَنِـــــي الرُكْبَـــــانْ

إِحْمِلْ مِنِي سَلَامًا طَيِبًـــا لِأَهْـــلِ البَـــــــــانْ[2]

وتحتفظ الوثائق بقصيدة نادرة في مدح المدينة المنورة قالها الشاعر الصوفي أبو عبد الله بن مُحَمَّد البسكري[3] (765 هـ/1364م) قول فيها :

دَارُ الحَبِيبِ أَحَقُ أَنْ تَهْـوَاهَا وَنَحُنُّ طَرَفٌ إِلَى ذِكْرَاهَـــــا

وَعَلَى الجُفُونِ مَتَى هَمِمْتُ بِرَوْرَةٍ يَابْنَ الكِرَامِ عَلَيْكَ أَنْ تَعْشَاهَا

فَلَا أَنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِطِيْبَـــةٍ وَظَلَلْتَ تَرْتَعُ فِي ظِلَالِ رِبَاهَا

---

[1] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق، ص241 .

[2] ناصر الدين سعيدوني؛**دراسات أندلسية**، المرجع السابق، ص58 .

[3] هو أبو عبد الله بن عمر بن موسى البسكري رحل إلى المشرق وحج استقر بالمدينة المنورة، التقى مع الحافظ المحدث بن عبد الله بن مُحَمَّد المطري الذي كثيرا ما يحفظ قصائد البسكري وينشدها لإعجابه بها، على الأرجح أنه معاصرا لابن غلبون (799 هـ) مؤلف الذيباج والمذاهب.أنظر:عادل نويهض؛**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2،(د ت)، ص43.

ومن هنا فالتشوق إلى البقاع المقدسة ووصفها والحنين إليها ومدح الرسول ﷺ، أغراض قديمة عند الجزائريين وقد أكثر بعضهم في هذا النظم منهم عبد الكريم الفكون[1] (ت1073هـ/ 1662م) .

أما الحياة الاجتماعية من خلال الشعر الفصيح فيدخل في هذا الجانب شعر الإخوانيات الذي يشاطر فيه العلماء بعضهم بعضا في مناسبات معينة، وشعر الرثاء والتقريط والمدح لغير الأمراء نجد في هذا الصدد شعر الاخوانيات قد سيطر على السنة الشعراء، فكانوا يتبادلون المدح والنكت وحتى الهجاء والفخر، والمجتمع الجزائري على العموم مجتمع منقبض والمرأة كانت في المقام الثاني ومشاركتها قليلة في الظاهر في ميدان الشعر الاجتماعي[2]، لتبقى بعيدة عن ضوء هذا النوع الأدبي المرتبط بطبيعة الظروف الاجتماعية وظروف الحياة الخاصة بالمرأة التي تجعل لها إطارا بعيدا عن أحداث المحيط العام[3].

ويدخل في هذا الجانب اللهو الاجتماعي في التلغيز أي استخدام الألغاز عن طريق الشعر تخفيفا من عبء الحياة وتنشيطا للذهن، ومن هذا النموذج نجد سعيد قدورة [4]تبادل الألغاز مع أحمد المقري في لغز" هاج الصبر[5] "وما قاله المقري في هذا الشأن: « وسأله عالمها وخطيبنا وحبيبنا الله تعالى نفعنا الله بما فيها، فأرسل إليه لغزا في هاج الصبر نظما فأجابه على ما قيل لي" هدية"لم يصادف المرام فأعاد عليه السؤال فتفطن وأبدع في المقال،..وأجابه جوابا موفقا للسؤال قافيته ونصه»[6].

---

[1] عبد الكريم فكون (988 هـ/1580م)؛ كان أمير لركب الحج الجزائري من أسرة علمية شهيرة توارث أفرادها العلم والمجد في مدينة قسنطينة من أبرز مؤلفاته منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية. أنظر:المهدي بوعبدلي؛ ترجمة الشيخ المهدي بوعبدلي ويليه قسم التراجم ج،تح.عمر عبد الرحمان ذيب، ص175.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي**، ج1، المرجع السابق،ص 264 .

[3] عمر بن قينة؛ المرجع السابق ،ص 109.

[4] أبو عثمان سعيد قدورة بن إبراهيم (1066هـ/1655م) تولى الفتوي والخطابة والتدريس. أنظر :كذلك أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي**، ج1، ص357 .

[5] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع نفسه ،ص 268 .

[6] عبد الكريم الفكون؛ المصدر السابق ، ص ص 221 - 223 .

تحدث كذلك عبد الرزاق بن حمادوش في رحلته أن لأحمد البوني كتابات في الألغاز، إلّا أنّ العلاقات الشخصية ظلت تلعب دورا هاما في تحريك القرائح الشعرية، ولعلماء الجزائر علاقات كثيرة مع بعضهم البعض ومع علماء المشرق كذلك[1]، فنجد العياشي(1039هـ)[2] صاحب الرحلة العياشية، يمدح شخصية عيسى الثعالبي بقصيدة مطلعها:

إِذَا غَابَتْ النَائِبَاتُ فَغَالِبٌ يَفْخَرُ فَحَوْلَ العِلْمِ عِيْسَى الثَعَالِبِي[3]

إذا رجعنا للحياة الفكرية والأدبية في الفترة العثمانية فإننا نجد بعض المساهمات لا تدل على نهضة ثقافية خاصة فترة القرن الثامن عشر، إلا أنها أثبتت أن التعبير بالشعر وليد الحياة وضرورة المحافظة عليها، والتعبير بالكلمة خاصة من خواص الإنسان وضرورة من ضرورات الوجود يسجل المآثر وينصر المجاهد، ولعب الشعر دورا هاما في سرد الأحداث الماضية، ففي وقت ما كان يمثل رأس المال التفافي للقبائل العربية في قرون سابقة[4].

المبحث الثاني: رحلة عبد الرحمان المجاجي (ق11 هـ/17م)

أولا: التعريف بالمجاجي:

هو عبد الرحمان بن مُحَّد بن خروب المجاجي نسبة إلى بلدة مجاجة التي تقع بمقربة من مدينة الشلف التي نشأ فيها ، ما يكنى به الأديب شريف المغرب الشيخ سيدي مُحَّد الخروب، عاش خلال القرن(11هـ/17م)، في حين تؤرخ له بعض المصادر ويترجمان له خلال القرن (13هـ/19م)[5] بأنه عالم بالحديث تعلم بتلمسان وانتقل إلى المغرب وسكن مدينة فاس، من آثاره: "التبريج في أحكام المغارسة

---

[1] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي**، ج1، المرجع السابق، ص271.

[2] أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي؛ **معجم مصطلحات المخطوط العربي**، الخزانة الحسنية الرباط، مراكش، ط2، (د ت)، ص ص181- 199.

[3] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي**، ج1، المرجع السابق، ص271.

[4] عبد الرحمان خليل إبراهيم؛ **دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول** ﷺ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، (د ت)، ص17.

[5] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة عبد الرحمان بن خروب المجاجي نموذج للرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/17م**، مجلة الواحات للدراسات والبحوث، ع.20 ، جوان 2014 ، ص ص203- 204 .

وحاشية على جمع النهاية "لعبد الله بن سعد بن أبي حمزة الأندلسي المتوفي (690هـ)[1] هذا في ظل شح المصادر والمراجع عن ترجمته، غير أن الأرجح والأكيد أن الفترة التي التقى فيها مع كب الحج في زمن علي الأجهوري(ت1066هـ/1656م)[2]،الراجح أن مُحَمَّد المجاجي(1002هـ/1594م) العالم المتصوف يكون والد عبد الرحمان الذي أسس زاوية في مجاجة للعلم، ورحل للحج في (966هـ)[3]، أما رصيده العلمي أو مؤلفاته التي أشتهر بها هي رحلته الحجازية التي نظمها شعرا والتي تتراوح عدد صفحاتها بين (20 و24)[4] .

ثانيا: تفاصيل رحلة عبد الرحمان المجاجي

أ- رحلته إلى الحجاز: تعتبر رحلة المجاجي من بين الرحلات الحجازية الذي دونها شعرا لمرحلة العودة من الحجاز إلى المدينة ومصر ومرورا بالبلدان المغاربية (طرابلس، تونس) وصولا إلى مسقط رأسه مجاجة، انطلق في الحديث عن هذه الرحلة عن المحطات الجغرافية التي سلكها ومر من خلالها وتراوحت في وصفه للطبيعة الجعرافية من حيث الصحراء القاحلة والحمادات واصفا الجبال والمسالك المسالك الصعبة التي تجاوزها وصولا إلى الأراضي المنبسطة التي تسهل له حركة الرحلة، إلى أن حط رحاله في " واد فاطمة الزهراء" نسبة إلى بنت رسول الله صلوات الله عليه و-رضي الله عنها[6]- يسمى في مواضع أخرى "بواد الشريف"، الذي " يقع بين مكة وأبيار علي في اتجاه المدينة المنورة، لتتواصل رحلته باتجاه أبيار عزفان هذه المدينة التي تبعد عن مكة بسته وثلاثين ميلا في اتجاه طريقه إلى اليمامة التي تتوفر على موارد مائية، وحط ركب الحج رحاله في الرميلة- التي لا تبعد بالكثير عن مكة -

---

[1] عادل نويهض؛ **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض، ط2، بيروت، ص286.

[2] آل سيد الشيخ سعاد؛ المرجع السابق، ص204.

[3] أبو عمران الشيخ وآخرون؛ **معجم مشاهير المغاربة** ،منشورات دحلب، الجزائر، 2007 ، ص415.

[4] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي في القرن التاسع عشر والرحلات العلمية الحجاوية خلال العهد العثماني في الجزائر(المنشورة والمنظومة)**، ندوة ارتياد آفاق،ندوة الرباط الثانية 2009،ص76. أنظر: أبي القاسم الحفناوي؛ **تعريف الخلف برجال السلف**، ص919.

[5]عبد الرحمان المجاجي؛**رحلة المجاجي دراسة وتحقيق آل سيد الشيخ سعاد**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، (غير منشورة)،كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،جامعة وهران،2008/2007، ص ص130- 135 .

للاستراحة من عناء السفر، بعد منطقة الرميلة تتواصل رحلة المجاجي إلى أن وصل معطن ووتبين لنا من وصفه بأنها قرية عامرة تتوفر على موارد مائية، تبعد عن عقبة السكر بثلاثة أميال[1] ليرتحل منها و ينزل في خير بقعة كما يصفها المجاجي:

وَمِنْهَا إِرْتَحَلْنَا بَعْدَ جَدِ مَسِيْرِنَا نَزَلْنَا بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيْرِ بُقْعَةٍ

بَرَابِغ المَعْلُـــــومِ بِالْحَــرَمِ الذِيْ جَمِيعُ عِبَـادُ اللهِ مِنْهُ تَلْبَــثُ

لما تتوفر عليه هذه البقعة من شعائر ،باعتبارها نقطة إحرام للحجيج إذ يحرم منها الحاج عند التوجه لبيت الله الحرام ،لينزل قفار التي وصفها بالمسلك الصعب لكل من تجاوز رحاله منها، ما ندركه من قوله هذا ربما كونها بلدة قاحلة أو صعبة أو لندرة المؤون، حيث قال فيها:

ثُمَ دَخَلْنَا لِلْبِلَادِ التِـــــي يَبْقَى الضَمْآنُ عِنْدَ المَصِيبَةِ

بِلَادُ قِفَارْ فِيهَا صَعْبُ لِكُلِ مِنْ أَتَى عَلَيْهَا إِذْ قَدْ يُسَمَى بَزْوَةٍ .

بعد مسالك بزوة تأتي منطقة بدر وكان وصوله فيها فترة الزوال ومنها إلى عريش المصطفى[2]، لينتقل ركب الحج إلى الخيف التي هي بلدة صغيرة فيها خير ونعمة حسب ما ذكر المجاجي، وبعد شد رحاله منها لينزل قرية جديدة[3] وهي منطقة يقتات منها الحجاج وقت الإقامة التي ذكر فيها المجاجي حادثة وفاة عُودة بنت محم د بن علي أبهلول ما يقرب من عمرها ضاد ونيف[4] وتعدمن النساء الصالحات لما ذكر عنها من مآثر وأعمال بارة و متصوفة شبهها برابعة العدوية[5].

حيث يقول فيها:

لَهَا فِي العُمْرِ نُقْطَ ضَادٍ وَنَيْفًـــــا وَلَا لَهَا شُغْلٌ فِيهِ غَيْرَ العِبَـادَةِ

---

[1] عبد الرحمان المجاجي؛ المصدر نفسه، ص ص136 -137 .

[2] نسبة إلى شجرة كان يستظل تحتها نبي الله مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ولما تحمله هذه المنطقة من اقتفاء لآثاره النبوية.

[3] تبعد هذه القرية بخمسة عشر ساعة عن المدينة المنورة.

[4] يعني ذلك أن عمرها تعدى الواحد والتسعون سنة وهو حساب يعد من واحد إلى تسعة.

[5] رابعة العدوية بنت إسماعيل، أصلها من مدينة البصرية، متصوفة في الحب الإلهي وأجمل ما قالته:

إِذَا صَحَ مِنْكَ الوُدُ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ وَكُلُ الذِي فَوْقَ التُرابُ تُرَابِ

وَصَوَامَةٌ قَوَامَةٌ طُــولَ لَيْلِهَـــــا وَدَأْبُهَا فِي الأَوْرَادِ فِيهِ عُجُوبَةُ

لَيْسَ لَهَا مِثْلُ سِوَىْ مَنْ تَقَدَمَتْ فِي مَاضِي السِنِينَ مِثْلُ العَدَوِيَةِ[1].

وذكر المكان الذي يخلد ذكراها ،داعيا لها أن تكون مع نساء النبي في قصور عالية ودفنت في خير بقعة، وهي" البقيع"وبعد هذه الواقعة تقدم ركب المجاجي بجبل المفرج الذي يقع بمقربة من المدينة، وصف لنا من خلالها مشاعر الشوق فيه إلى الهادي وبشائر الفرح والسرور البادية على الركب برؤية دار الهاشمي ألا وهي طيبة التي تغنى بها الشعراء والرحال الذين وطئت أقدامهم الحجاز، أول محطة نزل فيها المجاجي في المدينة المنورة هي أبيار علي وتضمنت زيارته للمعالم الدينية أبرزها زيارة نبي الرحمة المصطفى –عليه الصلاة والسلام– ومسجده الشريف والبقيع، وبعد هذه الرحلة المثمرة لأهم المعالم الأثرية الدينية نزل المجاجي في مدينة الينبع أقدم بلاد الحجاز لتوقف الركب فيها من طول الرحلة،كانت من خلالها نقطة الانطلاقة للرحلة العودة إلى الجزائر مرورا ببعض المدن العربية كمصر وطرابلس وتونس إلى مسقط رأسه الجزائر.

ب– رحلته إلى مصر والإسكندرية: بعد الحجاز يصف المجاجي رحلته إلى مصر في منطقة بركة وبعدها بولاق أين أقام ركب الحجاج وتزود بالمؤن، ومنها بدأت الزيارة للبلاد المصرية، وأهم ما نال إعجابه المعالم الدينية المصرية منها "جامع الأزهر وجامع طولون فضلا عن جملة من العلماء والمشايخ بمصر الذين نالوا العلم و الشهرة نجد من بينهم " علي الأجهوري"[2].

ويقول المجاجي في هذا الشأن:

صَلَيْنَا فِيهُمْ وَإِلْتَقَيْنَا بِكُـــــلِ مَنْ لَهُ طَرِيقُ العِلْمِ وَالخَيْرِ شُهْرَةٌ

كَمَثَلِ عَلِي الأَجْهُورِي العَالِمُ الذِي لَهُ رُتْبَةٌ تَسْمُوا عَلَى كُلِّ قُرْبَةٍ

وَجَدْنَاهُ حَيًا وَإِجْتَمَعْنَابِهِ أَيْضًـــا فِي دَارِهِ رَبِي قَدْ وَفَى لِي مَنِيَتَـه

---

[1] عبد الرحمان المجاجي؛ المصدر السابق ،ص ص 137 – 142 .

[2] علي الأجهوري هو على بن زين العابدين بن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد عبد الرحمان الأجهوري (967 -1066هـ/1557- 1656 م) شيخ المالكية بمصر وأكابر علمائها.انظر:كذلك أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر التفافي**،ج2 ،ص 380.

وَتَبَرَّكْنَا بِهِ وَإِلْتَقَيْنَا بِغَيْـــــرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ بِالدِيَارِ المِصْرِيَةِ[1]

من خلال هذه الشواهد إنه كان ممتنا للمولى عز وجل أن خصه لقاء هذا العالم الجليل صاحب التلاوات السبع في الترتيل القرآني[2]، ولم يغفل في رحلته عن الجوانب الاقتصادية فيما يخص الأسواق المصرية وبعض المظـاهر والمعتقدات القديمـة الظاهر عند الشعوب المصريـة والمعالم العمرانيـة المصريـة أنداك.

أما رحلته إلى الإسكندرية كانت خاتمة هذه الرحلة لقائه بأهل العلم والتصوف ذكر منهم "أبو العباس المرسي وأبو عمر وعثمان بن الحاجب وأبو عمر الصامت الصالح وعامر الفوال "وغيرهم من العلماء الذي عاصرهم وحضي بلقائهم.

ج- رحلته إلى طرابلس: جل ما ذكره المجاجي عنها مظاهر كرم أهلها والمذاهب السائدة في البلدة خاصة في منطقة الزواوة وما قاله عنها :

وَأَهْلَهَا أَيْضًا ضَيَفُوا الرَكْبَ كُلَهُ وَقَدْ أَبْدَلُوا مَجْهُودَهَمْ بِالْكِفَايَةِ

وَ هِيَ قُرَى وَمَذْهَبُهُمْ يُعْدُّ مِنْ مَذَاهِبْ الإِعْتِزَالْ مِنْ الوَهْبِيَةِ

ثم توجه الركب برحلته إلى قابس التي تقع بالحدود التونسية، إلى أن تقدم بهم السير حتى وصلوا إلى منطقة قديمة يقال لها مطوية، وعندها افترق الركب كل في اتجاهه وصل المجاجي إلى مجاجة ووصفه للقاء الأهل والأبناء ويصف نهاية الرحلة هذه بقوله:

سَلَكْنَا بِخَيْرٍ مِنْهَا وَ الحَمْدُ الـذِي لَهُ جَمِيعُ الخَلْقِ قَهْرٌ وَ قَـــدْرٌ

فَسِرْنَا إِلَى الغُرُوبِ ثُمَ بِتْنَا بِوَادٍ مِنْ تُسَمَى شَلَفًا فِيهِ لِلْعِيْرِ رَاحَـــةٌ

وَعِنْدَ الصَبَاحِ مِنْهُ أَتْمَمْنَا قَصْـدَنَا لِأَوْلَادِنَا وَالأَهْلُ ثُمَ القَرَابَـــةُ

مَجَاجِي الأَصْلِ ثُمَ دَارًا وَنَشْـــأَةً وَرَبِي إِلَهُ العَرْشِ يُدْخِلُـــهُ جَنَـةٌ[3]

---

[1] عبد الرحمان المجاجي؛ المصدر السابق،ص ص 148-153 .

[2] المصدر نفسه؛ ص ص 148-153.

[3] المصدر نفسه؛ ص ص 162-182.

تَارِيخِ عَامِ ثَالِثٍ لِوُقُوفِنَـــا مِنَ الحَادِي عَشَرْ بَعْدَ سِنِينَ عِدَةٍ[1]

كانت هذه خاتمة لرحلة المجاجي الحجازية والتي تعتبر وثيقة تاريخية لجملة من الأحداث والمعالم الجغرافية والعلمية والاقتصادية والدينية، جمع فيها المجاجي كل ما شاهده ولاقاه أثناء رحلاته التي تختلف عن الرحلات الحجازية سواء النثرية أو المنظومة منها، ونقطة الاختلاف تبرز في كون رحلة المجاجي تسرد محطات العودة من الحجاز إلى مجاجة بأرض الوطن الجزائر، أما الرحلات الأخرى تصف غالبا مرحلة الانطلاقة وظروف الرحلة والمقصد والتشوق لأرض الحجاز بقصد الحج أو لطلب العلم أو غيرها من المقاصد الأخرى، وهذا ما زاد في أهميتها من حيث الاقتفاء بالمسالك الحجازية التي يقصدها كل من ينوي السفر والتي قدم فيها المجاجي وصفا دقيقا.

ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة المجاجي عبد الرحمان

رحلة المجاجي تعتبر من الرحلات الحجازية المنظومة بالشعر الفصيح بين فيها المجاجي تفاصيل رحلة العودة من الحجاز فهي تحتوي على العديد من الفوائد الإخبارية في المجالات الجغرافية والعلمية والتاريخية والعمرانية والاجتماعية والثقافية والأثرية للمدن التي مر بها [2].

– **فوائد جغرافية:** كانت انطلاقة هذه الرحلة من الحجاز مع العلم أنه لن يستشف لنا مرحلة الذهاب كون أنه دون رحلته بعد رجوعه أو أن قريحته الشعرية إلهامها استمد من الحجاز، وعلى هذا الأساس فإن الهدف الجلي من نص هذه الرحلة هو ذلك التحديد الجغرافي للمناطق التي مر بها في طريقه إلى الحجاز من خلال وصفه للمحطات والمدن والموارد المائية التي سلكها[3]، ومن بين المحطات التي ذكرها المجاجي هي كالآتي:

---

[1] المجاجي عبد الرحمان؛ المصدر نفسه، ص183 .

[2] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة عبد الرحمان بن خروب المجاجي نموذج للرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/17م** المرجع السابق، ص209.

أ- مسار الرحلة من مكة المكرمة إلى المدينة :

كانت الانطلاقة من واد فاطمة الزهراء، أبياز عزفان، خليص، رابغ، بزوة، بدر،عريش المصطفى، الخيف، جديدة، جبل المفرج، ابيار علي، المدينة المنورة.

ب- الرحلة من المدينة المنورة إلى مصر:

أبرز المحطات الينبوع سنة الانطلاقة (1064هـ/ 1653م)، الواحة، النخيل، عجرود، رابغ عقبة، ظهر الحمار، مغارة شعيب، نهر القصب، الإكراه، حورة، أبيار عنتر، دخول مصر، البركة، لباب، الإسكندرية[1].

ج- الرحلة من مصر إلى الجزائر:

تَميم، سِروال، ابن غنية، جدابية، المنعيم، احمر، زعفران، بهائشة جردس، بقبق، البنية قميصن، دفنة، جحيفة، مصراته، عبد السلام، ساحل حامد، طرابلس زنزوا، الزواوة، القراد، قبس، جربة، زريق، القابسية، مطوية، ودف، القطار، قفصة، شفة، الشبكة، قيصران زربية عامر، ليانة، واد منصف، سيدي عقبة، بسكرة، قرية غريب، إيريكة، مقرة، مسيلة، واد الجنان، بلاد حمزة، واد الشرفة، مضيق غيضة، الجزائر، متيجة، واجد، مليانة شلف، مجاجة[2].

تكمل الأهمية الجغرافية لهذه الرحلة من جانب التعرف على نقاط المرور عند العودة من الحج وكذا مسالك وطريق الذهاب إلى الحجاز من خلال ما تضمنه النص الرحلي في وصف المدن والقرى والسهول والوديان التي قطعها والموارد المائية المتوفرة في بعض المناطق.

- فوائد علمية: تضمنت رحلة المجاجي تقيدات للزيارات التي قام بها كالزوايا والمقامات التي مر بها في طريقه، ويعكس هذا التوجه الصوفي لصاحب الرحلة من خلال ذكره لجلة من علماء التصوف ووصفه، كذلك لعلماء الركب المرافقين له في الرحلة الحجية، والعلماء الذين التقى بهم وأورد لهم بعض

---

[1] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة عبد الرحمان بن خروب المجاجي نموذج للرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/17م** المرجع نفسه، ص ص 209 - 210 .

[2] المرجع نفسه؛ ص ص 209 - 210 .

المميزات العلمية التي اشتهروا بها من بينهم" أبي سلطان المزاحي" الذي أشتهر بعلم القراءات بمصر والفقيه"أبي سحنون " وغيرهم من العلماء الذي عاصرهم أثناء تلك الفترة[1].

– **فوائد تاريخية أثرية:** مجمل ما أورده المجاجي عن رحلته إلى الحجاز ومصر أوصافا لأهم المعالم الدينية والأثرية التي استرعت انتباهه منها: المسجد النبوي وزيارة البقيع وأهله من زوجات النبي مُحَمَّد عليه أفضل –الصلاة والسلام– والعباس والحسن بن علي وحمزة بن عبد المطلب–رضوان الله عليهم–.

أما الفوائد الإخبارية التي تضمنت من رحلته إلى مصر أوصافا لأكبر المعالم الدينية بمصر والتعرف على أشهر علماء ومشايخ الأزهر وأكبر المساجد المنتشرة في مصر من أبرزها: جامع الأزهر وجامع طولون وجامع الغوري وجامع الباشا المتواجد في الرميلة (مدينة من المدن المصرية) وأهرامات الفرعونية المصرية وما تحمله من دلالات عقائدية قديمة .

– **فوائد اجتماعية واقتصادية:**لم يعتمد المجاجي على الكثير من الأخبار الخاصة بالـشعوب والقبائل التي مر بها وكل ما ذكره نموذج للمرأة الجزائرية الحريصة على إكمال الركن الخامس من أركان الإسلام رغم تحمل المشاق وأتعاب الأسفار ومن بينهم السيدة عودة[2]، بنت مُحَمَّد بن علي أبهلول تلك المرأة المتصوفة التي توفيت في الطريق وأكرمها الله بالدفن في خير البقاع (بالبقيع)[3]، وبعض الظواهر السائدة في المجتمع المصري التي قال عنها فيها عجائب وسحر.

أما ما تضمنته الرحلة من أوصاف اقتصادية ليس بالشيء الكثير وما ذكره في هذا الشأن نوع السكة المضروبة أنداك والمتمثلة في الفضة المتداولة في مصر،كثرة الأسواق، ونظرا لهذه الكثرة لا يكاد يعرفها إلا أهل الصناعة[4].

---

[1] آل سيد الشخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر والرحلات العلمية والحجازية خلال العهد العثماني في الجزائر،** (المنثورة والمنظومة)، ص ص 76 –79 .

[2] المجاجي عبد الرحمان؛ المصدر السابق، ص ص137 –150 .

[3] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر والرحلات العلمية والحجازية خلال العهد العثماني في الجزائر،** المرجع السابق، ص79.

[4] المجاجي عبد الرحمان؛ المصدر السابق، ص150.

رحلة المجاجي عبد الرحمان من بين الحجازية المنظومة بالشعر الفصيح التي تعتبر أهم وثيقة تاريخية إخبارية لأهم الوقائع والمشاهد التي رصدها المجاجي في فترة القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي من جونب عدة، فرصدت لنا مجلات جغرافية لا يستغني عنها، أي باحت في تدوينه للرحلات الحجازية أثناء فترة القرن السالف الذكر كونها شملت مجالات علمية ومنشات ومآثر المادية ومعنوية التفافية والاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الثالث: رحلة إبراهيم بحمان المصعبي: (1196 – 1232هـ/ 1781 – 1817 هـ)

أولا : التعريف بالمصعبي:

هو إبراهيم بن بحمان عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن بكير بن موسى بن محمّد بن عبد العزيز بن عبد الله بن يحي بن موسى الحفصي قبيلة بلدا، من علماء بني يزقن البارزين وقطب من أقطاب ميزاب على عهده،كان قد اختصر كتاب المسالك للجياطي (ت750هـ/1349م)، حيث فرغ من تأليفه وانطلق في رحلته إلى الحج في رجب 1196هـ[1].

وما قاله عنه الحاج سعيد:« كان مؤلفا وشاعرا جليلا وعالما حكيما أديبا فيلسوفا ورحالة»، لم ترد المصادر تاريخ ميلاده، إلا أن رحلته التي قام بها إلى الحج كانت في (1196م/1781م) فنسبه إلى أمه يعود إلى أنها أخت ضياء الدين[2] عبد عزيز الثميني بن الحاج إبراهيم العالم العلامة والأديب،كما أنها قامت بدور كبير في تنشئته على الطريقة الإسلامية والتي منها أخد العلوم الأولى كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، إلا أنها توفيت بعد صراع من المرض، ونلمس حديثه عن أمه في حياته من

---

[4] الشيخ ابراهيم بن حمان المصعبي؛ **رحلة المصعبي** ،تح. يحي بن بهون، غرداية –الجزائر، ص ص26- 27 .

[1] الملقب يضياء الذين عبد العزيز الثميني خال إبراهيم المصعبي (ت 1202هـ/1808م) الذي استخلف المشيخة والقضاء، كما تولى التدريس والإفتاء ورئاسة مجلس العزابة ببني يسجن وصار حلقة في سلسلة نسب الذين التي تعد إجازة خاصة لدى علماء الإباضية وكان من النساخ أيضا.انظر: المصدر نفسه؛ ص 27 ، انظر: بن ابراهيم بن بكير بحاز وآخرون؛ معجم أعلام الإباضية، ص 22.

خلال قصيدة "الرثائية "التي سماها " كشف الغم في مرثية الأم "،أما والده الشيخ بحمان فلم يرد ذكره حتى من الشيخ بحمان نفسه[1].

من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة و الدعاة لها ، فكان ينتقل بين مدن وادي ميزاب يدعوا إلى العلم ويحارب الجهل والبدع[2]،كما كان له جهود في التفسير وشرح الحديث، تولى العديد من المناصب من إفتاء وتدريس ورئاسة لمجلس العزابة ببني يزقن[3]، واستقر به الأمر إلى منصب كاتبا لتقارير ومراسلات- مجلس عمي السعيد- له صلة بمجموعة كبيرة من العلماء والمشايخ أورد منهم الشيخ قائمة من ثلاثين إسما على الأغلب أنهم من ضواحي مدينة غرداية وأعيانها[4]، وله كذلك صلاة وثيقة بعلماء المغرب وعمان[5].

ترك الشيخ الحاج ابراهيم بحمان أثارا عديدة منه من وصل إلينا ومنها من يزال في خبايا الخزائن وله في هذا الصدد منظومات شعرية في أغراض متنوعة منها: قصيدة البردة في مدح خير البرية، ديوان شعر في مختلف الأغراض وله تفسيرات وشروح وحواشي ومختصرات، وأهم مؤلفاته "الرحلة الحجازية التي تضمنت (شعرا ونثرا)[6]،كان يملك مكتبة ثرية بأنفس المخطوطات وانتقلت بعد وفاته إلى حفيده "عبد الله مُحَمَّد بن ابراهيم[7].

---

[1] الشيخ ابراهيم بن حمان المصعبي؛ المصدر السابق ،ص ص26 -28 .

[2] إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون؛ **معجم إعلام الإباضية من خلال تراجم العشرين ألف عالم من أعلام المغرب الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى العصر الحالي**،مج2، مطبعة العربي،غرادية ،1999 ،ص22 .

[3] سليمان دهان: المرجع السابق، ص35.

[4] الشيخ ابراهيم بحمان المصعبي؛ المصدر السابق، ص ص 30- 34 .

[5] ابراهيم بن بكير بحاز وآخرون؛ المرجع السابق، ص 23 .

[6] الشيخ ابراهيم بحمان المصعبي؛ المصدر السابق، ص ص 35-36 .

[7] ابراهيم بن بكير بحاز وآخرون؛ المرجع السابق، ص 24 .

ثانيا: تفاصيل رحلة المصعبي

كانت انطلاقته في هذه الرحلة من مسقط رأسه بني يزقن بمدينة غرداية ،حيث ابتدأت مراسم هذه الرحلة من تجمع القافلة الحجية المشيعة بالأدعية المباركة كما جرت العادة عند أهل ميزاب وكان ذلك في يوم الخميس (15 رجب 1196هـ)، وعن هذه الانطلاقة يقول فيها في قصيدته الحجازية :

وَبَعْدَ خَرَجْتُ لِلْحَجِ قَاصِدًا إِلَى الكَعْبَةِ البَيْتَ المَحْرِمْ عَالِيًـــا

فَفَارَقْتُ فِي حَقِ الرَحِيمِ قَرَابَتِي وَ شَيْخِي وَوَلِدُانَا عَزِيزًا وَمَالِيًـــا

فَأَبْكَى فِرَاقِي إِخْوَةٌ لِي أَعِزَةٌ وَمَنْ كَانَ دَانِيًا وَمَنْ كَانَ قَاضِيًـــا

كَانَ يَومَ الخَمِيسِي خُرُوجُنَا لَدَى نِصْفِ رَجَبْ مِنْ شُهُورِ الإِلَهِيَا .

ليتجه في رحلته إلى مدينة الأغواط لتتواصل الرحلة والسير في البراري ليلتقوا مع شيخ الركب الذي سيرافقهم في الرحلة، وتقدم بهم السير ليمروا على فج في نواحي بسكرة وبعد منطقة بسكرة ينزل ركب المصعبي في منطقة الجريد والزرايب وغسران ثم عين الشبيكة التي في نواحيها التقوا مع جماعة من النفر القاصدين بيت الحرام، الذين انظموا مع ركبهم، واستمر السير إلى أن وصلوا بمنطقة قابس التي مكث فيها ركب المصعبي ما يقرب يوما كاملاً لما تتوفر عليه من طيب الماء، ثم إلى طرابلس التي وصل إليها الركب في العشرين من شهر شعبان[1] التي أقام فيها ما يقرب سبعة ليال وبعض المحطات والتي توقف عندها منها: كعرعر، الزعفران، نعيم ،الجواب، السلوك هذه الأخيرة التي مكثوا بها ما يقرب يوما تزودوا من خلالها بالماء وقطعوا مفازة إلى أن وصلوا إلى واد تميم حين أدركتهم صلاة عيد الفطر، وتواصلت الرحلة إلى أن وصلوا كرادس على نهر النيل التي أقاموا بها ثلاثة ليال كان وصولهم إليها في العشرين من شوال، من مصر تتواصل رحلة المصعبي بحمان وصولا إلى شبه جزيرة العرب إلى أن وصل منطقة بزوة التي ابتدأت منها التلبية وجاوزوا عسفان إلى انتهى بهم المطاف إلى البيت الحرام وما قاله في هذا الشأن :

[1] الشيخ إبراهيم بحمان؛ المصدر السابق، ص ص 44- 46 .

فَمِنْ قَاعِ بَزْوَةَ قَدِمْنَـا إِلَى رُبَـــى فَلَبَّيْتُ مِنْهَا سَيِّدِي وَ إِلَهِيَـا
فَأَفْرَدْتُ عُمْرَتِي عَنِ الحَجِّ قَاصِـــدًا ثَوَابَ أَتْبَاعِي الحَائِزِينَ المَعَالِيَـا
تَرَكْنَا قَدِيدًا خَلْفَنَـــا وَ يَسَارَنَـــا فَرُحْنَا لِبِرْكَةِ الخُلَيْصِ عِشَائِيَـــا
فَأَحْرَمْتُ مِنْ تَحْتِ المِيزَابِ لِحَجَتِي بِيَومِ الخَمِيسِ كَانَ يَومَ الثَمَانِيَا.

ويقول الشيخ: "ودخلت إلى البيت العتيق بسابع من الشهر ثم طفت سبع طوافيا (1196هـ)"، حيث بادر الشيخ بأداء مناسك الحج أو العمرة، وقد عبر الشيخ عن صعوبة هذه الرحلة وهولها حتى إنها أثرت في صحاح الأجسام فأنحلتهم، كما أذابت شحوم سمان الإبل لطولها وصعوبة مراحلها لندرة الماء وفقدانها في بعض المناطق، ومما جاء في قوله عن هذه الأوصاف:

أَلَا إِنَّ دُورَ الدَرْبِ كَانَتْ صَعِيبَةً عَلَى كُلِّ ذِي بَسْطٍ جَسِيمًا وَغَانِيًا
أَذَابَتْ هَزِيلَ جِسْمِ كُلِّ ذُوَيْبَـــةٍ وَأَفْنَتْ كَثِيرَ الخَلْـقِ بَعْدُ وَمَالِيَـــا

بعد أن أدى المصعبي مناسك الحج وزيارة مدينة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– ،تجددت رحلة العودة إلى مدينة غرداية ومسقط رأسه بني يزقن وكان يوم خروجه يوم الأربعاء (12 من شهر محرم[1] 1197 هـ/1782 م)[2].

ليعود على إثرها و يدخل مصر بعد مسيرة شهر من يثرب وقد تمنى الشيخ لو سلك سبيلا آخر غيرها بسبب ما يلاقونه من وشايات لذا الحكام ،إلا أن هناك–مدرسة من طلاب الإباضية بوكالة الجاموس في طولون–، وتيقن أنه لا حل لهم إلا الصبر والرضى بالقضاء من بيده مفاتيح الأمور، ووقع لهم ما كان الشيخ يخشاه رفقة ركب الحج المرافق له وبعد أن تحتم عليهم دفع الغرامات قال لهم الشيخ:«أن من قعد بمصر بعد هذه الحادثة فلا يلومن إلا نفسه»، وقفلوا راجعين إلى بلدهم ومسقط رأسهم وكان ذلك في أوائل شهر ربيع الثاني من سنة (1197 هـ /1782م) بعد مسيرة شهرين من مصر

[1] الشيخ إبراهيم بحمان؛ المصدر السابق، ص50 ،77 ،78.

[2] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة الحجاجي من القرن السابع عشر والرحلات العلمية والحجازية خلال العهد العثماني في الجزائر**، المرجع السابق، ص101 .

إلى غرداية إلا أن الشيخ لم يفصل مرحلة طريق العودة، ليتوفى بعد (35) سنة من أداءه فريضة الحج[1].

ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة إبراهيم بحمان المصعبي

قد حملت رحلة المصعبي في طياتها العديد من الحقائق التاريخية التي يمكن اعتمادها والرجوع إليها كمصدر تاريخي هام خلال فترة أواخر القرن الثامن عشر ميلادي لأنها شملت العديد من المجالات السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والتفافية[2]، ومن بين هذه المجالات نذكر منها :

-فوائد جغرافية: إن هذه الرحلة في مجملها استغرقت مائة وعشرين يوما ذهابا من مدينة غرداية إلى الحجاز في حين كانت رحلة العودة استغرقت مسيرة شهرين، كان هذا ربما نتيجة لتعرفه على المسالك القريبة والخبرة التي نالها من الرحلة[3]، وهذه الرحلة تعد من أبدع الرحلات لكونه تزامنت مع فترة أواخر الحكم العثماني، تقيد فيها المؤلف بذكر العديد من المناطق الجغرافية التي مر بها أو أتخذها فترة للاستراحة من عناء السفر ومشاقه وتجسدت هده القيم الإخبارية في المسالك التي اتخذها المصعبي في رحلته التي قصدها إلى المشرق، والمسلك التي اتخذها في أداء مناسك الحج والعمرة، الطرق اتخذها كذلك في رحلة العودة إلى ارض الوطن[4] وسنذكر هذه المحطات بالترتيب:

أ- مسالك المصعبي في طريقه إلى المشرق :أهم هذه المسالك وارجلان- غدامس فزان (جبل نفوسة)-جرمة- سبها-زويلة- وذان- جالو(جادو)- بئر إبن المكسر- تيارا- دير النصارى- الإسكندرية- القاهرة- القلزم- البحر الأحمر- حسمي- أية (ايلات)-الحوراء- ينبع-العقيق- ذو الحليفة (المذينة المنورة)- بدر- البزواء- جحفة- عسفان- مكة المكرمة- جدة (الميناء) .

---

[1] الشيخ إبراهيم بحمان؛ المصدر السابق، ص54.

[2] سليمان دهان ؛ المرجع السابق ، ص35 .

[3] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر والرحلات العلمية والحجازية خلال العهد العثماني في الجزائر**، المرجع السابق،ص 102 .

[4] الشيخ إبراهيم بحمان؛ المصدر السابق ،ص 42.

ب- مسالكه في أداء مناسك الحج: أهم المراكز التي أدى فيها مناسك الحج من بينها : ينبع- ذو الحليفة- يثرب- العقيق- بدر- العقيق- بدر- البزواء- الجحفة- عسفان-مكة- عرفات (جبل)- مزدلفة- (جمع)- واد المحسر- منى-جدة (المناء)[1].

ج- مسلك المصعبي في عودته إلى الوطن: كانت انطلاقة العودة إلى مسقط رأسه بداية من جدة بحر القلزم (البحر الأحمر)- البجا-قوص-نفط- أخميم- أسيوط- أشمونين- نهبسا-طنبدا- منية القائد- كرم شريك- بحيرة الإسكندرية- دير النصارى- العقاب-لبنة- رمادة-شماس بئر ابن المكسر- تبارا- أولجة -سنترية-قصر زلة (زويلة)- ودان—جبل الهاروج-تمزا- درج- غدامس- وارجلان[2].

كانت هذه أهم المحطات التي مر بها المصعبي التي إحتوت على معلومات إخبارية متنوعة المشارب، ناهيك عن وصفه للبقاع المقدسة وكيف صعب عليه فراقها، وكان اهتمامه بالموارد المائية من جانب ذكره للمناطق التي تتوفر فيها وحتى ندرتها في بعض المناطق ،وتجسد و صفه للأماكن التي مر بها بالتحديد الدقيق[3].

-فوائد تاريخية: أن رحلة المصعبي جاءت مع أواخر فترة الحكم العثماني، لذلك فإنها تحتوي على فوائد وتقيدات كشفت النقاب عن أحداث تاريخية مهمة وما أورده في هذا الشأن من أحداث دونها في سفرة حتى تكون تذكره له لمن يريد سلوك هذه الطريقة من بعده.

ونجده كذلك يتحرى الوقائع خاصة ما أورده عن مصر حول أنظمة الحكم وما تعرض له ركب الحج في مصر، من حجز من طرف السلطات والإرغام على دفع المكوس[4].

---

[1] الشيخ إبراهيم بحمان؛ المصدر السابق ،ص 103.

[2] المصدر نفسه؛ ص ص 103-104.

[3] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر والرحلات العلمية والحجازية خلال العهد العثماني في الجزائر**، المرجع السابق، ص 103.

[4] الشيخ بحمان المصعبي؛ المصدر السابق، ص ص 103-104.

وكذلك التأريخات التي وردت في رحلته التي تضمنت اليوم والشهر والسنة والتقيد بالأشهر الهجرية التي كانت متعامل بها أثناء تلك الفترة، خاصة في فترة غاب فيها التأريخ الدقيق للأحداث مقارنتها مع بعض الرحلات الحجازية، هذا ما لمحناه في قصيدته الحجازية التي يقول في إحدى أبياتها:

فَفِي نَيْفِ العِشْرِينَ مِنْ شَهْرِحِجَّـتِي رَحْلتُ إِلَى زَوْرِ المدِينَةِ غَادِيَا...،

فَفِي إِحْدَى عَشَرَ بَعْد شَهْرِالمُحَرّمِ دَخَلْنَا بِمصْرَ بِالغِينَ الأَمَانِيَـا.

وإضافة إلى ذلك أهم المشاهدات التي كان يسجلها بدقة في كل مرحلة وما لاحظه من ظواهر سلبية في الحرم المكي، وما كان يشتكي فيه من الفرق الضالة ومن المخالفين وما إستولى على البلدان من سلطان الظلم والفساد، وما ذكره عن الأشخاص الذي تعرف عليهم من خلال لقائه معهم أو الذين أقام عندهم، وصف بعضهم بعبارات الشكر والتقدير والإجلال .

أما فيما يخص المعالم الدينية الأثرية نذكر منها المزارات التي قام بها المصعبي في الحجاز بدايتها الأماكن التي أدى فيها مناسك الحج منها: (بيت الله الحرام) وما جاورها من عرفات ومنى، وديار أبي بكر وقبر السيدة خديجة -رضي الله عنهما- وما شاهده في المدينة وزيارة من مسجد النبوي.

خلال ما سبق أن رحلة المصعبي هي من بين الرحلات الحجازية النظمية المكتوب بالشعـــر الفصيح التي تمتاز بقيمها التاريخية والأدبية وبشعرها البليغ والتزامه بالقافية والبحر، يمكن اعتبارها من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في فترة القرن (12هـ/18م) لما تحتوي علية من أحداث وأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية شملت أوضاع المغرب العربي مصر والحجاز بوصف دقيق لحالة المسالك والعمران وغيرها من الشواهد والمظاهر والأحداث التي عاصرها أثناء تلك الفترة.

الفصـــــل الثالـــث:

الرحلات النظمية من خلال الشعر الملحـــون

المبحث الأول: الشعر الملحون ومجالاته في الجزائر الفترة العثمانية

المبحث الثاني: رحلة أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي

المبحث الثالث: رحلة أبو عبد الله بن مسايب التلمساني

بعد أن تعرضنا في الفصل السابق للرحلات المنظومة بالشعر الفصيح ومجالاتها الشعرية في الجزائر الفترة العثمانية، وخلصنا بأنها اعتبرت وثائق تاريخية هامة لما احتوت عليه من قيم إخبارية للفترة العثمانية التي عاصرت الرحلتين في مجالات مختلفة، وما سنتناوله في هذا الفصل الرحلات النظمية من خلال الشعر الملحون وما أدرجناه في المبحث الأول الشعر الشعـــبي ومجالاته في الجزائر الفترة العثمانية، والمبحث الثاني رحلة أبو عثمان سعيد المنداسي، والمبحث الثالث كان محوره رحلة أبو عبد الله بن مسايب التلمساني اللتان اشتهرتا أثناء تلك الفترة.

المبحث الأول: الشعر الملحون ومجالاته الشعرية في الجزائر الفترة العثمانية

أولا: تعريف الشعر الشعبي (الملحون) وعوامل ظهوره:

جاء في كتاب **الكنز المكنون في الشعر الملحون** لمؤلفه "مُحَّد قاضي:«جعل للعرب لغتين الفصحى والملحونة، فإن غابت الأولى قامت الأخرى مقامها ..، والقصائد المنظومة باللغة الملحونة سهل على كل واحد فهمها ولا شك أن القارئ يستفيد منها فوائد عظيمة يستعين بها» [1]، الشعر الشعبي أو شعر المدح استخدمها الكثير من الدارسين ليفرقوا بينه وبين الفصيح ويطلق كذلك عليه "الزجل "لأنه تقليدا للموشح إلا أنه كتب بلهجة العوام[2]، وهو ظاهرة ثقافية تتأثر بالأحداث الاجتماعية والسياسية تتفاعل مع القضايا التي تعيشها الشعوب ويعبر عن قيم روحية أو أخلاقية [3] يشتمل على كل شعر منظوم بالعامية[4].

---

[1] مُحَّد قاضي؛ **الكنز المكنون في الشعر الملحون**، تر.أحمد فتحي دلاي، عاصمة الثقافة العربية، (د ت)، ص 11.

[2] عبد الله ركيبي؛ المرجع السابق، ص267 .

[3] التلي بن الشيخ؛ **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1999، ص ص 31-55.

[4] عبد الله ركيبي؛ المرجع السابق، ص367.

أما إطلاق مصطلح ملحون: هي في أصل تسمية لا تتعارض كثيرا مع بقية المصطلحات، فهي إن إختلفت معها في التسمية الغالبة على هذا الشعر هي روحه ولغته عامية في معظمها إلا أنها تعد تسمية خاصة بالقياس إلى مصطلح الشعر الشعبي، فهو من "لحن" يلحن" أي أنه نطق بلغة عامية غير معربة، أما وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته، وهو في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة، والفرق بينها وبينه في الإعراب أي أنه لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة[1].

كان ظهوره نتيجة مؤثرات ثقافية وسياسية وأول نص شعبي على شكل مقطوعة تؤرخ لظهور النص الشعري الشعبي العربي في الجزائر هو ذلك النص الذي ردّده أحد الفاتحين، عندما التحم بملك الروم "جرجير" في معركة سبيطلة الشهيرة التي هزم فيها الفاتحون الروم شر هزيمة وأسروا ابنة جرجير الأميرة ، ثم يظهر المستوى الآخر الذي هو القصيدة، وأصول نصوص الشعر الشعبي العربي في الجزائر نجدها في القصيدة الشعبية بدأً من أقدم العصور (خاصة العصر الجاهلي)[2]، مرورا بالهلالين وما جاءوا به من تغيرات سياسية وعسكرية إلى الجزائر وما حملوه من لهجات متعددة التي تغلغلت في الأوساط الشعبية، ومن المستبعد ألا يعرف السكان الأصليين نظم الشعر وروايته إلا بعد هجرة بني هلال إلى هذه الأقطار وما يستدل به عن هذا الجزم أنه لم يعثر على نصوص من الشعر الشعبي سابقة لفتـــرة الهجرة الهلالية[3]وما جاءوا به من لهجات عربية مختلفة، وأنهم كانوا ينظمون الشعر بهذه اللهجات، إضافة إلى تأثير الهجرة الأندلسية وما صاحبها من نماذج شعرية وانتشار الكتابة بين الطبقات الشعبية فمن خلالها[4] ساهموا في تعريب الجزائر، وأصبح الأدب الشعبي مند ذلك الوقت

---

[1] التلي بن الشيخ؛ المرجع السابق، ص ص23-25 .

[2] العربي دحو؛ **مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر**، موفم للنشر، الجزائر ،2007 ، ص15.

[3] بني هلال لم يقتصر دور بين هلال على مشاركتهم في النواحي السياسية والعسكرية بل تعداه إلى النواحي الأدبية وظهر من بينهم عدد من الشعراء البارزين الذين تميزوا بقدرة شعرية فدة وإبراز دور قبيلتهم والتغني ببطولاتها، ولم يظهر أثرهم في الجزائر إلا بعد أن حالف **الناصر بن علناس الأثبج الهلالية** (457هـ/1065م) .أنضر:عبد الحميد خالدي؛ **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر** ،ص ص 50-107.

[4] التلي بن الشيخ؛ المرجع السابق، ص ص23-31.

ثمرة الشعر ولاسيما الشعر الديني، ووجد الشاعر الشعبي مناخا صالحا للتعبير عن عواطفه ووجدانه بلغة سهلة وأسلوب بسيط لا يستدعي إتقان قواعد اللغة المعربة، وأن الضعف التفافي للغة العربية في الفترة العثمانية ساعد على انتشار هذا اللون من الأدب الشعبي[1] وتعددت مجالات نظمه في الجزائر العثمانية فاتخذه الشعراء أداة للمدح والهجاء والدين والغزل والمقاصد الأخرى[2]، منطلقات الشعر الشعبي الجزائري تنبع من واقع الحياة التي يعيشها الشاعر وأن القضايا التي تحضى باهتمام الشاعر الشعبي ذات ارتباط وثيق بهموم المجتمع و قضايا البيئة المحلية[3].

ثانيا: مجالات الشعر الشعبي في الجزائر خلال العهد العثماني:

ما قاله ابن خلدون عن أهل المغرب العربي: « أن أهل المغرب العربي قد أضاعوا رواية أشعارهم وأخبارهم فأضاعوا أنسابهم وأحسابهم» ومن العجيب أن هذا الرأي كان حافزا لعدد من الشعراء والكتاب على تدوين الشعر،[4]كما أنه تنوعت مجالاته في المجتمع الجزائري أثناء تلك الفترة ومن بينها:

أ- الشعر الشعبي والحياة الدينية: هناك الكثير من الشعراء من عنوا عناية خاصة بالشعر الديني الملحون أمثال" ابن مسايب" و"المنداسي" الذي اشتهر بنظمه قصائد في المدائح النبوية والتشوق للكعبة والتصوف، والشاعر" الأخضر بن خلوف[5]، الذي كرس شعره كله تقريبا في مدح الرسول ﷺ، كما أنه اشتهر بالنظم في التصوف والحكم والمواعظ، وأبو عبد الله مسلم بن عبد القادر

---

[1] عبد الله ركيبي؛ المرجع السابق، ص367-368.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج2 ،ص242 .

[3] التلي بن الشيخ؛ المرجع السابق ،ص 11.

[4] القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج2 ،ص239 .

[5] اسمه الحقيقي الأكحل بن عبد الله وأشتهر بالأخضر ابن خلوف المزيلي المغراوي الذي ينحدر من سلالة أولاد خلوف قبيلة مزيلة بأمارة مغراوة التي لعبت أدوارا في تاريخ البلاد الإسلامية فكانت أول دولة إسلامية بالجزائر بعد الفتوحات الإسلامية مباشرة أنضر: المهدي بوعبدلي؛ **ترجمة الشيخ المهدي بوعبدلي ويليه قسم التراجم**،ج،تق، عبد الرحمان ذيب، ط1، ص ص441-442.

العامري[1] والشاعر أحمد التركي الذي كان تلميذا للمنداسي ومعاصرا لابن مسايب في القرن (17-18)[2].

وما ساعد على انتشار هذا الشعر الظروف الحاصلة في المجتمع الإسلامي وفقدان الاستقرار المادي في الدنيا، فأنصرف الناس إلى البديل عن ذلك، وبعد أن يئسوا من العدالة الاجتماعية في الأرض فلجأوا إلى ما في السماء، وكان هذا بداية مرحلة طويلة للفكر الصوفي وزاد في انتشاره الحكم العثمانـي الذي جنح إلى الاستبداد، فلجأ الشعراء إلى شعر التصوف والزهد، ومن بين الشعراء الذين لعبوا دورا بارز في هذا الجانب" أبي مدين شعيب التلمساني " و" عفيف الدين التلمساني" وغيرهم من الذين تناولوا هذا النظم والذي نقصد به التصوف الذي أصبح الطابع العام للحياة التفافية في الجزائر بوجه خاص من بين القصائد التي نظمت في هدا الصدد :

الْلّـهْ الْلَّـهْ الْلَّـــهْ يَارَحْمَـــــانْ يَامَالِيكْ الْمُلُوكْ يَا وَاحِدْ وَحْدُو

نْصَلّي عْلَى الرَّسُولْ الطَاهَرْالعَدْنَانَ مُحَمَدْ الْمَبْعُوثْ لَا نَبِيْ بَعْـــدُو[3]

وفي هذا الصدد فقد نظم عبد الرحمان الأخضري (ت953م)[4] منظومة سماها "القدسية "تحتوي (357) بيتا ضمنها كشف حالة المبتدعة والدجالين المدعين للصلاح مقارنا بينهم وبين الصالحين الحقيقين، التي إعتنى الكثير من العلماء بشرحها حتى صار أصحاب المعاهد يلزمون الطلبة بحفظها وما قاله فيها:

---

[1] شاعر اشتهر له في التصوف وفي أغراض أخرى ،عاش بوهران ومات بمعسكر غرب الجزائر (ت 1832م) .أنضر:عبد الله ركبي؛ **الشعر الديني الجزائري الحديث**، ص 370.

[2] عبد الله ركيبي؛ المرجع السابق، ص369-370.

[3] المرجع نفسه؛ ص 278 ،378 -385.

[4] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص169 .

قَدْ مَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ أَوْهَامَ فَالقَومَ إِبْلِيسْ لَهْم إِمَـــــامْ

كَفَاكْ مَنْ جْمِيعُهُمْ خِيَانَة إِذْخَتْلُوا الدُنْيَـــــا بِالدِيَانَـــة

وَ هَتْكُوا مْحَارِمْ الشَّرِيعَة سَلْكُوا مْسَالُكْ الخْدِيعَـة[1]

ومن ثمة فإن الشعراء كانت عنايتهم بشعر المديح الذي يتماشى مع ميولهم واتجاهاتهم،كما أنهم تأثروا بالبيئة الطبيعية وأخذت جانبا في التعبير عن اشواقهم الروحية ووصف جمال الرسول صلى الله عيه وسلم ونظم الكثير في هذا الصدد ونجد هذا في قصيدة "شور الحبيب قلبي لبى " التي يعبر فيها عن أشواقه لطيبة التي هي من أسماء المدينة يقول فيها:

هَلْ دْرَى الْمَوْلَى بِجَعَلْ لِيَّ شَى نَصِيْبْ يَا مَنْ أَدْرَى نْبَاشُـــــرْ قُبَـــا

طَيْبَة وَطِيْبَة طَابُتْ جَمْعُتْ كُلْ طَيِبْ يَكْفِيكْ مَا حَوَتْ القُبَّـــــــــةْ

نَحْكِيْ شْمَائِلْ المِصْطَفَـــــــى مْفَخَمْ الَمْفَاصُلْ قَوِيْ جِسْمُو نْظِيفْ

أَبْهَـــى مُنْ الْقَمَرْ فِي الصَفَـــا لُحْيَة مْجَمْعَة مَكْحُولَة ،شَعْرُو كْثِيفْ[2]

ج- الشعر الشعبي والحياة السياسية: طغى الأدب الشعبي على الأدب الفني في العهد العثماني خاض عددا من الأغراض وخاصة الجانب السياسي للجزائر الفترة العثمانية وسجل الشعبي كثيرا من الحوادث السياسية والعسكرية لذا كان أقرب إلى الحقيقة من الشعر الفني[3]، وقد تناول هجومات الأجانب والأنصار عليهم ووقف الشعر الشعبي أحيانا مع العثمانيين ومن القصائد المنظومة في هذا الصدد قصيدة التي نظمت في شأن (وقعة مزغران) من طرف الأخضر بن خلوف وهي المعركة التي

---

[1] المهدي بوعبدلي؛ **الحياة الثقافية بالجزائر، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن** (10-13هـ)، الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، ج، تق. عبد الرحمان ذيب؛ عالم المعرفة للنشر، الجزائر ،ط1، 2013 ،ص 37.

[2] عبد الله ركيبي: المرجع السابق، ص384-385.

[3] الشعر الفني هو شعر البلاط أو شعر النفس المهزومة أو كذلك شعر المدائح النبوية ونحوها.

دارت بمرسى مستغانم بين المسلمين والأسبان التي وقعت في سنة (950هـ/1543م) وفصل فيها ما جرى بين جيش المسلمين بقيادة حسن باشا[1] والجيش الإسباني بقيادة الكونت دالكادوت وهذه المنظومة بشأن الإنتصار الذي حققه المسلمين والذي كان انتصارا باهرا قال فيه:

يَاسَايِلْنِي عَنْ طْرَادْ الرُّومْ قَصَّةْ مُزْغْرَانْ مَعْلُومَةْ[2].

وفي أوائل القرن الثاني عشر هجري نظم" مُحَمَّد درمش الشرشالي" الذي إنتصر للعثمانيين في البلقان وأشاد باستيلاء السلطان " أحمد الثالث " (1115 – 1143 هـ/ 1704- 1730م) على مورية سنة (1127هـ/1701 م)، الذي عالج فيها عدة موضوعات أهمها فرمان السلطان الذي أرسل إلى عسكر الجزائر يطلب منهم إرسال قوات عسكرية إلى السلطان، فاستجابت الجزائر وأرسلت ثلاثة سفن محملة بالعساكر، وبدوره الشاعر نفسه وصف الطريق والمعركة التي دارت بين العثمانيين وخصومهم كما وصف الانتصار الإسلامي وما جاء قوله في هذه الإشادة:

صَلُوا كُلْكُمْ يَا مَعْشَرْ الْإِخْوَانْ عْلَى المُصْطَفَى الْهَادِي رَفِيعْ الشَانْ

سُبْحَانْ الْإِلَهْ الْمَلُكْ الدَّايِـمْ الفَرْدْ الْجَلِيلْ العَادِلْ الحَاكُـــمْ

مُنْ بَعْدْ الرِضَى عَنْ جُمْلَةَ الْأَعْوَانْ اَصْغُوا وَافْهْمُوا يَا مَعْشَرْ الْإِخْوانْ.

---

[1] **حسان بن خير الدين** الذي ولد بمدينة الجزائر وتتقف على يدي علمائها، وتلبية لرغبة الجزائريين أسند السلطان **سليمان** رتبة بايلرباي إلى حسان الذي هزم الأسبان الدين احتلوا مدينة مازاغران ومن خلال تلاحم أهل مستغانم معه ومدد حامية تلمسان التي أصيب على إثرها الإسبان بخيبة أمل بقيادة الكونت دالكوديت القايد الماهر حاكم وهران الذي خسر المعركة ،الذي قال عنه المؤرخ الفرنسي دي قرامون: « تملك الرعب والفزع قلوب الجيش الإسباني فأصبح رجاله لا يفكرون في المعركة إنما يفكرون من أجل النجاة ...».أنظر:أحمد توفيق المدني؛ **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492–1792 م)**،مج5، ص ص301-303.

[2] عبد الله ركيبي؛ المرجع السابق، ص ص384-385.

ومن بين الذين كتبوا في هذا المجال" مُحَمَّد بن ميمون الجزائري[1] الذي نظم شعرا[2] في الفترة التي عاد فيها "الحاج مُحَمَّد خوجة بن الداي عبدي[3]منتصراً على الثائر بوزيد بالغرب الجزائري عام (1141هـ/ 1727م)، ومنها هذه الأبيات:

قَالُوا لِبُوزَيْدْ رَئِيسْهُمْ الْذِي قَدْ لَجْ فِي الإِبْرَاقْ وَالإِرْعَادْ

اَحْسَأْ فَهَذَا سَيْفْ عَبْدِ(يْ) صَادْايَا وَدَمْ الأَعَادْي رَيْ ذَاكْ الصَيَّادْ

وَلَئِنْ تْخَطَّاهْ الحَمَامَ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْسَاقْ فِي الأَقْيَادْ[4]

أما الشعراء الدين وقفوا ضد العثمانيين متخذين من أشعارهم وسيلة وسلاحا فهم كثرة من بينهم "ابن السويكد" الشاعر لذي سجل انتصار أهل سويد بالغرب الجزائري على العثمانيين في حروب طويلة قاسية، وهذه الحروب تعرف باسم (ثورة المحال) وما قاله عنها

التُرْكْ جَارُوا وَاسْوِيدْ عْقَابْهُمْ طَافْحِيْنْ وَالتُرْكْ شَارْبِينْ الْهْبَالْ فِي الْسُلْطَةْ[5]

---

[1] مُحَمَّد بن ميمون الجزائري الزاوي النجار الجزائري (ت 1159هـ /1746 م) من عائلة اشتهرت بالعلم فقد كان جده أبو العباس أحمد بن عبد الله الزاوي (ت1479م) عالما بالفقه واللغة، تولى خطبة القضاء الجزائر لفترة زمنية على عهد الداي مُحَمَّد بكداش (1118-1122هـ/1707-1710م)، عرف لنظمه للمقامات مؤلف كتاب التحفة المرضية انقطعت أخباره عام (1159هـ/1747م) أنظر:ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ص422 .

[2] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع السابق، ص ص 422- 423 .

[3] الملقب بالحاج مُحَمَّد بن الداي بابا عبدي الملقب بالكرد، عاد الحاج مُحَمَّد منتصرا على المسمى بوزيد بالغرب الجزائري، والذي على إثرها نظم ابن ميمون قصيدة في تهنئة ولد الداي بعد أن عاد منتصرا من الغزوة في سنة (1141هـ/ 1728م) الذي يقول في إحدى أبياتها:

بُشْرَى كَمَا إِنْبَلَجْ الصْبَاحْ البَادِي بَقْدُومْ مَوْلَانَا ضَحَى الِمِيْلَادْ

أَعْمَلْتْ رَاحْتُكْ السَعِيدَة قَاصِدَا فِي نَظْمْ شَمَلْ فِي سَبِيلْ جْهَادْ.

أنضر: عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام** ،ج3، ص224 .

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، المرجع السابق ،423.

[5] أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق، ص 315 .

نجد كذلك الشاعر بوعلام بن الطيب السجراري الذي تحدث عن ثورة درقاوة ضد العثمانيين الذي تحمس فيها الشاعر ضد الأتراك وكان يطعن فيها الأتراك وفي سياستهم وأخلاقهم خصوصا انهزامهم على يد الدرقاوين بقيادة عبد القادر الشريف:

كِي قِصَّة الأجْوَادْ مَعَ أتْرَاكْ النُّوبَة يَومْ أنْ فَزَّعْهُم ابْنْ الشْرِيفْ

أما المرحلة الأخيرة من الفترة العثمانية مثلها "مسلم بن عبد القادر الوهراني (ت1248هـ/ 1832م)[1] في منظومته المعروفة (خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر)، حاول فيها الإلمام بما حدث في عهد البايات المتأخرين ما جاء فيها عرضا تاريخيا مبسطا شاملا لأحداث يكون قد شاهدها، وألتزم مسلم بن عبد القادر فيها بالصدق وتحري الحقيقة خاصة أنه عايش بداية الإحتلال الفرنسي وعرف نهاية حكم الباي حسن، وأرجع ذلك إلى ظلم الحكام وابتعادهم عن الحق ومجانبتهم للعدل، وقد وضع في ذلك شعرا عاميا نورد منها هذه الأبيات:

أَدَبُهْمْ رَبَّهُـــمْ لَمَّا طَـــــغُوا عَرَفْهُـــــمْ بِغَدْرُهُمْ لَمَّا بَغُـــــوْا

دَعَي عْلِيكْ الـــــمْزَاجْ وَنُوحِي عْلَى الْإِسْـــــلَامْ وَبُالدَفْعْ فَاسْهَدِي

وَاحْكِي زْمَانْ الوَصُلْ قَدْ تْصَرَّمَا وزُكْنَا مَنْ أَرْكَانْ الدِّيْـــنْ اَنْهَـــدْمَـــا

قُطْرْ الجَزَائِرْ قَدْحَلْ(كَذَا) الْبَلَا فَانْحَلْ عُقَدْ النَظْمْ مِنْهُ وَ خْـــلَا[2]

ومن هذه الأخيرة يمكننا الحديث عن الأوضاع الإقتصادية من خلال الشاعر الشعبي" بلقاسم الرحموني الحداد"[3] الذي صور أحول قسنطينة عموما وبما فيه الجوانب الإقتصادية التي تمثلت في

---

[1] الحميري تولى في شبابه منصب خوجة للأغا المزاري أحد قواد مخزن الأتراك بنواحي وهران وترقى إلى منصب رئيس الكتاب لدى الباي حسن بن موسى.

[2] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**،المرجع السابق، ص505.

[3] الشاعر الشعبي لد بقسنطينة في عهد صالح باي (177-1793م) ووافته المنية في عهد الباي شاكر (1232هـ/1818م)، الذي عاصر أحداث ثورة ابن لحرش، التي شهدت البلاد خلالها اضطراب في الأحوال الإقتصادية في سنة (1219هـ/1804م).

أحوال المعيشة والغلاء وتحدث أيضا ضد التجار الدين وردوا على قسنطية من داخل البلاد ونافسوا أهلها[1]وهذه الأوضاع المالية القاسية التي نلمسها في قصيدته الشعبية التي كان خير وسيلة عبر الشعب لجزائري عن موقفه من الحالة الاقتصادية التي كان الجزائريون يعيشونها وما جاء في مطلعها:

عَامْ مْكَبْرَةْ هَايْ سِيْدِي بَالْكْسَادْ وَغْلَاْت النَّعْمَا

كَيْفْ نْخَبْرْ هَايْ سِيْدِي بِالفَسَادْ فِيْ الْكْمَالْ حَوْمَا

بَاَحْ كُلْ شَيْ بْلَاكُتْمَا فِيْ بَلْدَةْ قْسَنْطِيْنَة الدَّهْمَا[2]

وعلى كل فإن الحياة الاقتصادية بفحص مدينة الجزائر كانت تتأثر بعدة عوامل مختلفة منها الوسط الطبيعي والعنصر البشري والتنظيم الإداري[3] الذي كان المتحكم الأساسي في الحياة الاقتصادية خاصة أن الإدارة العثمانية في الجزائر كان هدفهم جمع الضرائب والرسوم، مما جعلهم يتناسون مع مرور الوقت حقيقة السلطة وأهدافها، كما أنهم لم يعودوا يهتموا بالتنظيمات الإدارية والحربية[4]،كما أن للشعر الشعبي مجالات أخرى لم نتعرض لها كالمجالات الاجتماعية كالغزل والرثاء ما

...انظر: ناصر الدين سعديني؛ **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792– 1830 م) ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد الله بن محمَّد شويهد**، ص ص 223-234. انظر:دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة لناصر الدين سعيدوني، ص197 .

[1] أبو القاسم سعد الله؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، المرجع السابق،ص 316 .

[2] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792– 1830) قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد بن محمَّد شويهد**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، (د ت)، ص ص 223 -224 .

[3] ناصر الدين سعيدوني؛**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، المؤسسة الوطنية، الجزائر،ج2 ، 1988، ص145.

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792– 1830) قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد بن محمَّد شويهد**، المرجع السابق، ص ص 223-224.

نظم في هذا المجال نجد أحد الشعراء نظم قصيدة موضوعها ((قَالُوا العَرَبْ قَالُوا)) في رثاء صالح باي الذي كان محبوبا لذا عامة الناس[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الشعر الملحون لعب دورا هاما في التعبير عن الروح الوطنية والدينية[2] والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وسجل أحداثا وقضايا المأساة الجزائرية والانتصارات والمواقف البطولية وإن كانت هذه الأحداث دونت بلغة عامية إلا أنها عكست الناحية الثقافية والفكرية للمجتمع الجزائري[3] وقضاياه المعاصرة أثناء الفترة العثمانية، وأصبح الشعر الشعبي أعمدة الصحف وتصويرا لهموم المجتمع الجزائري وآلامه وتعبيرا للبيئة المحلية ومشاكلها في حدود تصر الشعبي وتعبيرا عن مشاكلها في حدود تصوره[4]والتي كشفت لنا جوانب كثيرة للبلاد الجزائرية، والشعر الشعبي وثيقة هامة تدرس الحياة كما صورها الشاعر من حيث تسجيله لمشاعر الناس ضد أو مع العثمانيين ومواقف الجهاد ضد العدو الخارجي وتطور الحياة الدينية وغيرها من القضايا الأخرى التي نالت إهتمام، فهو ضرورة من ضروريات البحث[5] والمهم في الشعر أن يكون بليغ مؤثر سواء كانت لغته فصيحة معربة أو دارجة ملحونة[6].

---

(1) ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، المرجع السابق،ص317 .

(2) التلي بن الشيخ؛ المرجع السابق، ص 377 .

(3) أبو قاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص 316 .

(4) عبد الله ركيبي؛ المرجع السابق، ص 492.

(5) أبو قاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص 317 .

(6) التلي بن الشيخ؛ المرجع السابق،ص 11.

المبحث الثاني: رحلة أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي(ت1088هـ/1677م)

أولا: التعريف بالمنداسي

أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني موطنا ونشأة عاش في تلمسان في النصف الثاني من القرن الحادي عشر لله للهجرة، منتصف القرن السابع عشر الميلادي،حيث تعلم وأصبح له إطلاع ومعرفة بعلوم عصره اللغوية والأدبية والفقية[1]، وما عرف عنه أنه أشتهر بقصائد التصوف والمديح وبقدرته الفائقة عند الناس في قول الشعر الملحون الممزوج باللغة الدارجة والفصحى[2] وهو أول من إبتكر الزجل ونظم قصيدة العقيقة المشهورة في الأدب الشعبي العربي سنة (1088 هـ/1677م)، وهذه القصيدة التي تشمل على نحو (270) بيتا من أهم شروحها (**الدرة الأنيقة في شرح العقيقة**)" لأبي رأس" وشروح أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها[3].

أضطر المنداسي إلى مغادرة تلمسان مسقط رأسه والتحول إلى المغرب إثر تعرض التلمسانيين إلى القمع والمصادرة من طرف القائد التركي حسن علي فترة الداي حسن باشا (1060هـ/1650م) [4]، عاش المنداسي في فاس ومراكش مدة طويلة في رعـاية العلوين وكان معلما لمولاي إسماعيل(1082هـ/1672م) فأكرمه بتولي الحكم، وما ورد في كتاب" الإستقصاء" للشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري عن الشاعر ومولاي إسماعيل ما يلي:

« وكان أي مولاي إسماعيل سخيا حتى أنه أعطى أبا عثمان سعيد المنداسي نحوى خمسة وعشرين رطلا خالصا من الذهب مكافئة له على بعض مدائحه فيه»، وظل يحضى برعاية العاهل العلوي ويعيش حياة ميسورة إلا أنه ما فتيء أن أحس بالحنين إلى الوطن فرجع إلى تلمسان ومكث بها إلا

---

[1] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي والجغرافي** ، المرجع السابق، ص397.

[2] المهدي بوعبدلي؛ المرجع السابق، ص 169 .

[3] المهدي بوعبدلي؛ **الحياة الثقافية في الجزائر**، المرجع السابق، ص189.

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخ**، المرجع السابق ،ص397 .

أن جاء أجله[1] عام (1088هـ/1677م)، ولا غرابة أن يموت المنداسي في سجلماسة هاربا من الأتراك بسبب قصيدته التي تعتبر أقدح ما قيل فيهم:

فَمَا دَبَ فَوْقَ الأَرْضِ كَالتُرْكِ مُجْرِمٌ وَ لَاوَلَدَتْ حَوَّاءُ كَالتُرْكِ إِنْسَانًا[2]

ترك سعيد المنداسي العديد من القصايد الشعرية الفصيحة والعامية عكست أحداث عصره وأبرزت موقعه من القضايا، فمن الأشعار الفصيحة والعامية ما يؤلف ديوانا ضخما في مختلف الأغراض هذا ما زاد في شهرته وجعله على ركب شعراء عصره في القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي[3].

ثانيا: التعريف برحلة سعيد المنداسي (ت1088هـ/1677 م):

بوادر الرحلة التي نظمها سعيد المنداسي تعرف بالعقيقة[4] وكانت سنة النظم في نهايات القرن الحادي عشر هجري والسابع عشر ميلادي[5] والتي جاءت مليئة بألوان البيان والمحسنات البديعية معبرة في أشواق جياشة[6] بالرغم من أنها شعر ملحون ركز فيها المنداسي مدح النبي صلى التي حيث ألفها في البلاط الملكي المغربي عهد مولاي إسماعيل[7] وإنتهى من نظمها سنة(1088هـ/1677م)[8] المدونة بالشعر الملحون القريب من الشعر المعرب وهي في الأصل كانت تقيد للرحلة التي قام بها

---

(1) سعيد المنداسي؛**ديوان سعيد المنداسي** ،تح. مُحَمَّد بكوشة ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1968 ،ص ص 3-4.

(2) أبو القاسم سعد الله؛ المرجع السابق ، ص265 .

(3) ناصر الدين سعيدوني؛ المرجع السابق ،398 .

(4) منظومة العقيقة التي اشتهرت في الأوساط الأدبية وتبارى بها الكثير من الكتاب في شرحها منهم أبو راس ومصطفي ابن التهامي.

(5) المهدي بوعبدلي؛ **ترجمة الأعمال الكاملة لشيخ المهدي بوعبدلي ويليه قسم التراجم**، المرجع السابق، ص170 .

(6) آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر (المتثورة والمنظومة)**،المرجع السابق، ص96 .

(7) ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع السابق، ص 399 .

(8) المهدي بوعبدلي؛ **ترجمة الأعمال الكاملة لشيخ المهدي بوعبدلي ويليه قسم التراجم**، المرجع السابق، ص170.

المنداسي في الحجاز والتي كانت مؤثر في نفسيته وهي تشبه نظم المعلقات التي تتغنى بالأطلال أي المعالم العمرانية الأثرية والغزل من خلال ما أورده المنداسي في قصيدته هذه عرب العقيق والبان التي قال فيها: كَيفَ يَنْسَى قَلْبِي عَرْبْ العَقِيقْ والْبَـــانْ وَ العَقِيقْ أَعْيُونِي بَاقْلَايْدُه اهَلُّـــوا

لِي عُقَيْلَة مِنْهُم غُرَّة شْقِيقَة البَـــــانْ هَلَ قَلْبِي مِنْهُمْ بَعَضْ الوِصَالِ هَلْ لُّه

انْ صَدْرِي وَالسَّرْ الكَاتْمُة الصَّدرَ بَانْ كَيْفَ يَمْهَلْ دَمْعِي وَ الْوَجْدْ لاَ مْهَلْ لُّه[1]

ليستهل المنداسي منظومته في مدح خير البرية مُحَّد عليه أفضل الصلاة والسلام بوصف عبارات الشوق ولمحبة لزيارة الروضة الشريفة والتي حط رحاله فيها من شدة وحشه هذه البقعة التي وصفها بالروح المقدسة وراحة الأجسام، أما رحلته التي قال في مطلعها:

حَطْ رْحَالُكْ يَاحَادِي العَيْنْ كُنْ مُضْمَانْ ذِيْ مْنَازُلْ مَنْ قَالْ الله عْلِيهْ صَلُّوا

هَذِي هِيَّ الدَّيَارْ يَابَاكِي الإِرْسَـــــامْ عْرَاتْ يَدْ النْسِيْبْ لَلْمَدْح خْطَاهَـا

هَذِي الرُّوحْ المقَدَسَةْ رَاحَة الأَجْسَامْ مَتَنْ الـــبُرَاقْ مَالِكْ الْمُلْـــــكْ

هَدِيْ الرَّوضَة الْمُشَرْفَة دَفْعَتْ الأَنْسَامْ هَذِي طَيْبَة الضَحْكْ مَعَ العِيسْ مْطَاهَا

هَذَا عَيْنُ الْوُجُـــودْ وَالرَّحْمَةَ طَـــــهَ هَذَا مَنْ يَتْغَـزُلْ لِلْحْبِيبْ يَنْـــــزَلْ

أَيْ وَقْتْ نْسُوقُ هَاجِّينْ كَالنْعَامْ عِيْطَانْ وَسْطْ رَكَبْ طُلُوعْ النَّجْمَة يَزِيمْ طَلَبَهْ[2]

نجد هذه المنظومة التي كتبها المنداسي تحتوي على العديد من المعاني إعتمد فيها على الكثير من المواضيع إلا أنه يذكر فيها بعض المناطق الجغرافية والمسالك فنجدها في مجملها عبارة عن أشـــواق

[1] سعيد المنداسي؛ **ديوان سعيد المنداسي**، المصدر السابق، ص ص 3-4.

[2] المصدر نفسه، ص 22.

ومواعظ وإرشادات وأهم ما تناولته قصيدته إرهاصات هجرة نبي الرحمة عليه أفضل-الصلاة والسلام- بكل محطاتها التاريخية والتي قال عنها:

هَاكْ بَعْضْ أَخْبَارْ الهِجْرَة بْلَفْظْ مَلْحُـونْ مَا تْخَافْ مْنَ اللَّومْ إذَا بَغِيْتْ تَرْوِيــهْ

قَوْلْ بَادِي بَلْغَتْ عَرْبْ الحِجَازْ مَشْحُونْ لَوْجْحَدْ فَضْلُه مَنْ يَسْمَعْ عْنَاد يَكْوِيه

يَزْدَرِيهْ الغَمرْ وَقَلْبُه عْلِيهْ مَطْحُـــــــون حَدْ مَا يَعْرَفْ لَه مَسْلَكْ مْنِينْ يَاوِيـهْ[1]

ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة سعيد المنداسي

قصيدة المنداسي من القصائد النظمية المكتوبة بالشعر الملحون التي احتوت على الكثير من المواضيع الإخبارية والتي في مجملها غطى عليها الجانب الاجتماعي والتاريخي بحض وافر وأهم القيم الإخبارية نذكر منها ما يلي:

- فوائد تاريخية: رحلة سعيد المنداسي تختلف عن الرحلات الحجازية كونها لا تسجل رحلة وإنما تصف الأشواق الشخصية والأماكن الأثرية في الحجاز[2] ومنازل وذكرياته الدينية العابرة[3] بأحداث موجزة هي من قسم الأمداح النبوية، تعرض فيها بأسلوب السهل الممتنع لذكر شمائل النبي عليه أفضل -الصلاة والسلام- وترجمة حياته ومولاقاته، دعوته من تعنت المشركين وكيف كللت أعماله بالنجاح والنصر[4].

أهم ما أورده القبائل العربية القانطة في الجزيرة العربية منها عرب العقيق والبان، إضافة إلى المعالم الدينية والعمرانية التي رمز إليها الأطلال الروضة الشريفة والحوض والمقام، البراق التي كانت محمل

---

[1] سعيد المنداسي؛ المصدر نفسه، ص ص 23-24.

[2] أبو القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص389.

[3] عادل نويهض؛ المرجع السابق، ص 180.

[4] المهدي البوعبدلي؛ **ترجمة الأعمال الكاملة لشيخ المهدي بوعبدلي ويليه قسم التراجم**، المرجع السابق، ص173.

الرسول –عليه الصلاة والسلام– ليلة الإسراء ولمعراج، وتضمنت أخبار الهجرة التي ذكر مساراته بالتفصيل وصولا بفتح مكة الذي يقول فيه:

فَتَحْ مَكَة هُوَ العِيدْ الْفضَيْلْ الأَكْـــبَر وَلَا بْحَالُه فِي أَيَّامْ الدَّهَرْ مْوَسَمْ سْعِيدْ

حَسْتْ قُرَيْشْ مَنْ بْدَآهَا مَنْ فْسَادْ خَيْبَرْ لَكِنْ التَوْفِيْقْ عْلَى مَنْ بِعَانَدْ بْعِيْدْ

دَبْرُوا وَاللهْ هُوَ الفَاعُلْ الْمُدَبِـــــــــــرْ رُمْيُ بَعَشْرْ أَلَافْ الكُفَّارْ وَعْدْ وَوَعِيْدْ

بَعْدْ غَزْوَةْ بَدْرْ الكُبْرَى أَنْغَلْقَتْ رِهَانْ وُالْمْرَاهُبْ مَنْ قَطْعْ السَالْفَاتْ مَلُّوا[1]

– قيم فنية أدبية: ما وصفة أبوراس الناصري في شرحه لمنظومة سعيد المنداسي التي قال عنه : «فلقد قلد جيدا الحضرة النبوية فخرا وأمداحا وأدار على كؤوسها وأقداحها، مما يطرب الأطباع ويذهب بها كل مذهب ويستوجب أن يكتب بِذَوبِ الذَّهب، لقد أبدع في ترتيب قوافيها أول وثاني وثالث فجاءت أشهى ألذ من نغمات المثاني والمثالث...»، ولازال حفاظها يعدون بالمئات من أهميتها نجد أبو راس مُحَّد بن أحمد الناصري قد شرحها بسبعة شروح، احتوت على غرائب وعجائب من اللغــة والبلاغة والملحون حتى انقادت تمائم القصائد إلى سحرها[2]، وتم التحقيق في ديوانه العديد من الكتاب منهم:" مُحَّد بكوشة"،" رابح بونار،"مُحَّد بن رمضان شاوش"[3]، وغيرها من الشروح.

هذه التعليقات والشروح التي قاموا بها أصبحت بمثابة رحلة جديدة مستقلة تتناول جغرافية وتاريخ الجزيرة العربية بطريقة، سدت النقص الذي تركه الشعر[4] ، إلا أن الشعر الملحون الذي عرفه ابن خلدون الذي لم ينقصه إلا عدم مراعاة القواعد النحوية أو تركيب الجمل مع تحريف قليل جدا،

---

[1] سعيد المنداسي؛ المصدر السابق ، ص ص 37-38.

[2] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر (المنظمة والمنثورة)**، المرجع السابق، ص96 .

[3] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع السابق،ص ص438 -439 .

[4] المرجع نفسه؛ ص 439.

فمن عبارات ابن خلدون نختم حديثنا عن المنداسي الذي ترك العديد من القصائد الشعرية ذات الأهمية الأدبية والتاريخية عكست فترة نهايات القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي وتوسع أغراضها في الغزل والوصف والمديح والرثاء والهجاء باللغة الفصيحة العامية التي يجمع فيها اللفظ العامي و المستوى الأدبي.

ثالثـا :رحلة أبو عبد الله بن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/1776 م) :

أولا : التعريف بأبو عبد الله بن مسايب:

أبو عبد الله بن مسايب التلمساني نسبة إلى مدينة تلمسان في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة أواخر القرن السابع عشر ميلادي من أسرة أندلسية حطت رحالها بفاس ثم إنتقلت إلى وجدة وأستقر بها الأمر أخيرا بتلمسان بحي باب الزير ،حيث نشأ بها وتلقي تعليمه الديني وتكونت له معرفة بمبادئ الفقه والنحو وإندمج في الحياة العامة فأشتغل في صناعة الزرابي والحياكة (الدرازة)، وأظهر أثناء ذلك ميلا لنظم الشعر الملحون، حتى قليل في شأنه أنه جمع بين الصناعتين نسج الزرابي ونسج الكلام. ومما زاد في قيمة شعره والرقي بالمستوى التفافي تردده على مطالعة الكتب ومجالس العلماء وما زاد في قريحته الشعرية تلك الفتاة ابنة معلمه التي تعرف عليها من خلال ترددها لشراء لوازم الحياكة رغم أنه تزوجها إلا أنه لم ينقطع عن قصائده الغزلية التي تعنى بالحس والجمال وهذا ما جلب عليه[1] آنذاك نقمة الحاكم العثماني، ففر من تلمسان إلى قرية عين الحوت القريبة من تلمسان وعبر عن ورطته بأبيات قال فيها:

يَاأَهْـلُ الله أَغِيْـــثُوا الَملْهُـــوفْ قَبَلْ أَنْ تَبْرَدْ نَارْ الجُـــــــوفْ

كَيْفَ يَهْنَأْ مَنْ سَكْنَهُ خَـــوفْ وَ أَنْهَرَمْ طُلَابَـــــــه لَحْقُـــــوهْ .

[1] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع السابق،ص ص438 -439 .

توجه ابن مسايب إلى مكناس آملا أن يجد الرعاية من أبناء السلطان العلوي مولاي إسماعيل فحضي بالتكريم لمواهبه الشعرية، إلا أنه رجع عائداً إلى تلمسان أن حصل على العفو، تحول عن حياة اللهو إلى الزهد والتصوف في سنة (1150هـ/1737م) وأدى فريضة الحج وألتجأ نظمه إلى المديح النبوي، فأصبح اللسان المعبر عن المجتمع التلمساني مما جعل العامة تتناقله في مجالاته المختلفة كالزهد والتصوف، أشتهر في مجال التراث التاريخي الجغرافي بقصيدته التي نظمها[1] قص فيها رحلته من تلمسان إلى مكة[2] والمدينة المنورة هذه الرحلة التي أدرجت اسمه بين ناظمي الرحلات الحجية التي خاطب فيها الطائر المعروف "الورشان"، حاز على التقدير والاحترام ممن عرفه وتذوق شعره إلى أن وافته المنية سنة (1190هـ /1776م) .

ثانيا : التعريف برحلة أبو عبد الله بن مسايب(ت 1190 هـ/1776 م) :

رحلة بن مسايب هي في الأصل مكتوبة بالشعر الملحون يسرد فيها طريق انطلاقة الرحلة التي كانت من مسقط رأسه تلمسان عبر مدن وقرى الجزائر من غربها إلى شرقها مارا بالطريق التقليدي الذي كان يسلكه حجاج الغرب الذي أهم محطاته (مليانة- فالبليدة-مدينة الجزائر - مجانة- قصر الطير- قسنطينة-الكاف- تونس)، وهي رحلة برية مر فيها بعد هذه المدن بطرابلس ومصر[3] وصولا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة[4] التي كانت فترة منتصف الثامن عشر التي تصف بشكل دقيق الطريق البري الذي كان يسلكه الحجاج من مدن محطات يمرون بها أويتوقفون عندها[5].

ومطلع هذه المنظوم التي يقول فيها إبن السائب:

يَا الوَرْشَـانْ أَقْصُـدْ طِيبَـــا زُرْ فَاقَـــدْ مَرْسَمْ شِيْبَـــا

---

[1] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع نفسه، ص ص439 -440 .

[2] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص389.

[3] المرجع نفسه، ص389.

[4] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع نفسه، ص 440 .

[5] آل سيد الشيخ سعاد؛ **رحلة المجاجي من القرن السابع عشر (المنظمة والمنثورة)**، المرجع السابق، ص97.

لَا تَخَمَّـمْ فِي أَمُـرْ الغِيْبَـــا وُلَا تُحَـدَّثْ نَفْسَـكْ بِهَـا

يَا الوَرْشَـانَ إِعْــزَمْ بِمْشِيُـكْ إِ لْتكل عَلَى الله وُ عْلَيْكْ

ذَا الوِصَـايَةْ بِهَا نَوْصِيـكْ خُدْهَـا وُ تَهْـلَّا فِيْهَـا[1]

من هذه الأبيات نستشف رحلة مُحَّد بن مسايب المنظومة بالشعر الملحون التي إبتدأ ها من غصون الأولياء الصالحين بعد مزارتهم تنطلق الرحلة و هذه عادة من عادات أهل الغرب الجزائري ومناطق آخرى من الأقطار الآخرى التي تسلكة نفس السبيل منهم :"السنوسي"الذي قالفي شأنه :

نَرْسَلَكْ مَنْ بَابْ تْلَمْسَـــانْ سَرْ فِي حَفْضْ الله وُالأَمَـانْ

زُرْ قَطَبْ العُبَـــادْ وُ زِيْدْ لِلسْنُوسِيْ مُوُلَى وَالِي فِيهَـــا.

يذكر المحطات التي يسلكها الراحل بإتجاه الشرق منها "تاسلا –إتليلات –مستغانم –واد الفضة– أشلف–مليانة–بوخلوان–امتيجة–البليدة–بوفاريك–الجزائر–مزغنة–جبل عمال– قسنطينة– للكاف– تونس–إبن عرفا –طرابلس– برقة–قفار–مصر–الدار الحمرة–العقبة–مكة كانت هذه أهم المحطات التي ذكرها عبد الله بن مسايب التي إعتمد في منظومته على الكثير من المناطق الجغرافية وأوليائها وأشهر مشايخها الموجودين في هذه المناطق،كانت هذه أهم المسالك الجغرافية التي إتبعها الشاعر الشعبي في قصيدته و صولا بمكة المكرمة وأداء مناسك الحج أو العمرة التي قال في شأنها:

أَدْخُـــلْ مَنْ الوَادَ لِمَكَـــةَ بَاشَرْ البَيْتْ وَقَابَلْهَـــــا

طُفْ يَاطِيرِي سَبْعْ طْوَافْ بِالْقْدَمْ وَتْبَعْ الأَشْـــرَافْ

[1] إبن مسايب؛ **ديوان ابن مسايب**،ج،ت،مُحَّد ين الحاج الغوشي بخوشة، نشر ابن خلدون، تلمسان– الجزائر، (د ت)، ص166.

قُمْ يَا طِيرْ الوَعْدَ أَوْفَـــى طِرْ وَأَنْزَلْ جْبَلْ عَرَفَـــــةَ

أَعْنْمُ مَعَ النَّاسْ الوَقْفَـــة حَاجْتَكْ ثَمْ تُوفِيـــــهَا[1]

بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج انتهت رحلة بن مسايب بالعودة إلى أرض الوطن تلمسان والأهل والأقارب لتنهي رحلته التي جمعت في ثناياها الكثير من المعالم والمآثر الحجية التي يصادفه أي ركب في رحلته من الأشواق والحنين لتلك البقعة المباركة التي يقصدها الجزائريون رغم مشاق السفر وصعوبة المسالك،كانت نهايتها مثل ماوصفها الشاعر الشعبي :

يَاظَرِيفْ ارْجَعْ لِيعَجْـــــلَانْ تَتَبَاشَرْ بِكْ أَهْل تْلَمْسَـــانْ

لَلْقَاكْ تَرَكَبْ الفُرْسَـــــــانْ يَا الله أَحْـــضِ مُوَالِيـــــه[2]

ثالثـا: الفوائد الإخبارية لرحلة أبو عبد الله بن مسايب

القصيدة التي نظمها الشاعر بن مسايب في مجال التراث التاريخي في مجملها تضمنت أوصافا جغرافية وعمرانية للرحلة الحجية أهمها:

–فوائد جغرافية: اعتمدت الرحلة التي أوردها شعرا عاميا طريق الحج واكتفى فيها بذكر أهم المحطات التي يمر بها الحاج مع الإشادة بفضل الأولياء وصلحاء، تلك المدن والأماكن بأسلوب توسلي من خلالها، وبالاعتماد على هذه القصيدة تمكننا من التعرف على الطريق الشمالي (التل) الذي يسلكه حجاج مناطق فاس وتلمسان، فمن تلمسان إلى الدير وهو جبل صغير على مقربة من قرية عين الحوت ثم تسالة فتليلات وهيرة، قد يعرج الحاج على مستغانم[3] مرورا ببعض المناطق الأخرى

---

[1] إبن مسايب؛ **ديوان ابن مسايب**،ج،ت،مُحَّد ين الحاج الغوشي بخوشة، نشر ابن خلدون، تلمسان– الجزائر، (د ت)، ص166.

[2] المصدر السابق، ص175.

[3] ناصر الدين سعيدوني؛ **من التراث التاريخي**، المرجع السابق، ص 440.

التي سبق ذكرها في رحلة بن مسايب التي يقتفي أثرها كل من يشد رحاله إلى الحجاز ويبدوا أنها أقرب وآمن طريق هذا في ظل عدم ذكر مشاق الطريق، قام بتصويرها بأسلوب يوحي اليسر خاصة ما أطلق على الراحل بالطائر" الورشان"،كما تضمنت[1] أخبار عن تونس وعن الجزائر ومصر وطرابلس[2].

ونظر لأهمية هذه المنظومة فقام مُحَمَّد بن أبي شنب بنشر النص العربي وترجمته لهذه الرحلة ويظم في هذا الشأن ابن التركي والزنقاقي[3].

–فوائد تاريخية: تمثلت هذه القيم الإخبارية في ذكر جملة من الأولياء هذا يعكس الثقافة الواسعة والتوجه الصوفي والإطلاع الواسع لأحوال البلاد لابن مسايب لأنه لا يكاد يذكر منطقة إلا ذكر أحد أوليائها الصالحين، وما احتوت عليه كذلك المعالم الدينية العمرانية وشعائر أداء الحج بكل أركانها وتفاصيلها بداية من مكة والطواف حولها والوقوف بعرفة وجبل أحد ومزارات المدينة المنورة بما فيها النبي الأعظم عليــه أفضل–الصلاة والسلام–[4]،ويقل ما وصفه عن الجوانب الاجتمـاعي والسياسيـة إلا نادرا.

بكل هذا الإنتاج الشعبي المعبر عن قضايا عصره وحاجات بيئته ويعتبر ابن مسايب بحق أحد المساهمين في إغناء التراث الشعبي التاريخي والأدبي للمغرب العربي في العصور العثمانية، هذا بإيجاز أهم ما لمحناه في قصيدته التي موضوعها: الحديثة "يا ورشان اقصد طيبة " التعبير بالكلمة خاصة من خواص الإنسان الشعر ضرورة من ضرورات الحياة إن لم يستطع الإنسان أن يعبر بالكلمة لظل الكثير فينا أبكم لدا ففي فترات ماضية كان الشعر بأغراضه المتنوعة وسيلة اتصال ويؤدي دور الصحافة في

---

[1] إبن مسايب؛ المصدر السابق، ص 175 .

[2] Mohamed ben chaneb ;itierare de tehemcen ala mekka par benmessib au (18) siécle ,V44, A1900, pp 259,282.

[3] القاسم سعد الله؛ **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، المرجع السابق، ص389 .

[4] إبن مسايب؛ المصدر السابق، ص 175.

وقتنا الحالي، فشعراء الفترة العثمانية الذين امتزجت منظوماتهم بالشعر الفصيح والشعبي أو الملحون أبرزوا لنا العديد من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية التي لا يستغني عنه أي مؤرخ عند دراسته لهذه الفترة، باعتبارها وثائق تاريخية هامة، وبرز في هذا المجال شاعرين من أبرز شعراء الفترة العثمانية اللذين إنحدرا من الغرب الجزائري تلمسان أحدها موطنا ونشأة أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي (ت1088هـ/1677م) الذي عبر عن رحلته التي اشتهرت بقصيدة العقيقة، إلا أنها لا تسجل تفاصيل رحلة وإنما ركز فيها على مدح النبي -عليه الصلاة والسلام- في أشواق ووصف البقاع المقدسة وآثار الحجاز وقضايا أخرى عكست أحدات عصر في فترة أواخر القرن الحادي عشر ميلادي والسابع عشر ميلادي نظرا لقيمتها التاريخية والأدبية أفرد العديد في شروحها أهما شروح أبو راس الناصري" الدرة الأنيقة في شرح العقيقة "، والشاعر الذي برز في أواخر القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي أبو عبد الله بن مسايب(ت 1190هـ/1776م) من الأصول الأندلسية التي نزلت بفاس ووجدة وأستقربها المطاف في تلمسان، الذي أشتهر بقصيدته التي نظمها في وصف الرحلة من بلدته تلمسان إلى مكة والمدينة المعروفة "يا ورشان أقصد طيبة" التي غطت في مجملها التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي والجزيرة العربية بما فيها الحجاز.

الخاتمـــــــــــة

وتوصلت في الأخير إلى جملة من الملاحظات والنتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي:

يتضح لنا مما سبق أنه مهما اختلفت المصطلحات في التقريب من أدب الرحلة، إلا أنه يعد من أبدع الفنون وأرقاها لما يحمله من فوائد عديدة متعددة منها الفكرية والأدبية ومنها التاريخية والاجتماعية التي تساعد الباحث في التعرف على المدن والآفاق وعادات الطوائف والأقوام في مختلف الأمصار، ويعد من المصادر الأساسية التي حفظت لنا التراث التاريخي للشعوب من خلال التدوين الرحلي الذي تركته الأسلاف الماضية، وأخذ هذا الأدب بالتدرج في سلم العصور إلى أن كثرت وتنوعت أغراضه وبلغ أوجه في فترة القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي، ونشطت حركة التأليف الرحلي والسبب في ذلك أن الجزائريين اهتموا اهتماما كبيرا بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجاز وهي محاولة لرصد إثر تلك الرحلات المتعاقبة سواء كان الغرض منها الحج أو الزيارة لأداء فريضة الحج، وباعتبارها كذلك دار علم ومقر إمام دار الهجرة "مالك بن انس "وكون لهم فكرا خلاقا مزج الجانب الفقهي بالجوانب الأخرى المتعلقة بالأسفار وآدابه وقضايا الإيجاز والعلاقات الإنسانية والتدريب على تحمل المشاق ومواجهة الصعاب، وأن الجانب العلمي شغل حيزا كبيرا من أغراض الرحالة.

يتّضح لنا أن الجزائريين أسهموا مساهمة واضحة في شد الرحال خلال الفترة العثمانية،والتي تنوعت في مجملها بين رحلات داخلية تحمل في جوانبها الكثير من القيم الإخبارية لجوانب عديدة غطت مجالات واسعة من جغرافية الإقليم الجزائري، وهي بمثابة مصادر حية لا يستغني عنها أي باحث عند كتابة التاريخ المحلي لدراسته لتلك الفترة السالفة الذكر، خاصة أن الكثير منها كتب بأقلام جزائرية، كما أن الرحلات الخارجية لا تقل أهمية عن سابقتها لأنها اعتبرت موسوعة أخبار عن العالم الإسلامي منه المغرب الإسلامي والحجاز ومصر ودمشق رغم اختلاف ظروف رحلاتها بين العلمية الحجازية والاستطلاعية كل هذه الرحلات في مجملها شواهد تاريخية إخبارية لشعوب وقبائل ومعالم أثرية، التي لا ينتابنا الشك في صدق وتحري أخبارها في ظل كثرة المصادر الأوربية في الجزائر الفترة العثمانية وابتعادها عن الموضوعية.

إذا رجعنا للحياة الفكرية والأدبية في الفترة العثمانية، فإننا نجد بعض الإسهامات لا تدل على نهضة ثقافية خاصة فترة القرن الثامن عشر، إلا أنها أثبتت أن التعبير بالشعر وليد الحياة وضرورة المحافظة عليها والتعبير بالكلمة خاصة من خواص الإنسان وضرورة من ضرورات الوجود يسجل المآثر وينصر المجاهد، ولعب الشعر دورا هاما في سرد الأحداث الماضية، ففي وقت ما كان يمثل رأس المال التفافي للقبائل العربية في قرون سابقة، وبرز في هذا المجال رحلة المجاجي عبد الرحمان التي تعتبر من بين الرحلات الحجازية المنظومة بالشعر الفصيح التي تعد في التاريخ الحديث أهم وثيقة تاريخية إخبارية يستدل بها الباحث في كتاباته عن أهم الوقائع والمشاهد التي رصدها المجاجي في فترة القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي من جوانب عدّة، فرصدت لنا مجالات جغرافية لا يستغني عنها أي باحث في تدوينه للرحلات الحجازية أثناء فترة القرن السالف الذكر ،كونها شملت مجالات علمية ومنشآت والمآثر المادية، ورحلة المصعبي هي كذلك من بين الرحلات الحجازية النظمية المكتوبة بالشعـر الفصيح التي تمتاز بقيمها التاريخية التي يمكن اعتبارها من المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في فترة القرن (12هـ/18م)، لما تحتوي علية من أحداث وأوضاع سياسية واقتصادية اجتماعية شملت أوضاع المغرب العربي مصر والحجاز.

وبرز في مجال الشعر الشعبي شاعرين من أبرز شعراء الفترة العثمانية اللذين انحدرا من الغرب الجزائري تلمسان أحدها موطنا ونشأة أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي (ت1088هـ/1677م) الذي عبر في رحلته التي اشتهرت بقصيدة العقيقة، التي لا تسجل تفاصيل رحلة، وإنما ركز فيها على مدح النبي –عليه الصلاة والسلام– وأشواق ووصف للبقاع المقدسة وآثار الحجاز وقضايا أخرى عكست أحداث عصره في فترة أواخر القرن الحادي عشر هجري والسابع عشر ميلادي، نظرا للقيمتها التاريخية والأدبية أفرد العديد في شرحها أهمها شروح أبو راس الناصري" الدرة الأنيقة في شرح العقيقة "، والشـاعر الذي برز في أواخر القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي أبو عبد الله بن مسايب (ت 1190هـ /1776م) من الأصول الأندلسية التي نزلت بفاس ووجدة وأستقربها المطاف

في تلمسان الذي أشتهر بقصيدته التي نظمها في وصف الرحلة من بلدته تلمسان إلى مكة و المدينة المعروفة "يا ورشان أقصد طيبة" التي غطت في مجملها التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي والجزيرة العربية بما فيها الحجاز.

فهرس الملاحق

الملحق رقم (1) : جدول يبين المحطات التي سلكها أبو العباس الهلالي في رحلته:

المكان	مدة الإقامة	ملاحظات
سهلة	يوم الجمعة	صلى الجمعة باخنوس خلف شيخه عبد الرحمان بن مُحَمَّد
القنادسة	يوم وليلة	لقي فيها أعلام البلدودخل خزانة الزاوية
فجيج	ثلاثة أيام	– الأول منها للتسوق – الثاني لإنتضار رجوع أباعر مسروقة – الثالث انتضار شيخ كرزارة وقد استفادخلال إقامته منخزانة دار العدة،تصفح فيها نحوى ثلث ما وجد بها من رحل منها في سنة (1150هـ).
بوسمغون	يوم واحد	قوم تخرج نساؤهم للتسوق مع الركب.
عين ما ضي	يوم واحد	كثير من أهلها يحفظون القرآان، ولا يعرفون من النحو شيئا .
الأغواط	يوم واحد	ما اورده السجلماسي بأنها غالية الأسعاررافقه منها أهل ميزاب الإباضيون.
سيدي عقبة	ليلة واحدة	بها زاوية للحجاج ،بها قبرسيدنا عقبة بن نافع
بسكرة	يومان	وصفها وصفا دقيقا مفيدا
توزو	ليلة واحدة	من خلال رحلته إليها تخسر على ماضيها الزاهر،بكى حاضرها البائس، وينتهي بذكرها المخطوط

(1)- السجلماسي؛ المصدر السابق ،ص6

الشكل (———): يمثل المسلك الذي اتخذه المُصعبي في رحلته قاصدًا المشرق.

الشكل (-.-.-.-): يمثل مسلكه في أداء مناسك الحج والعمرة.

الشكل (- - - - - -): يمثل مسلكه في رحلة العودة إلى وطنه.

الملحق رقم (3) المسار من مكة إلى المدينة

(*********) محطات الرحلة

الملحق رقم (4): مسالك المصعبي في رحلته إلى الحج

* الشكل(———): مسلك المصعبي قاصدًا المشرق.

1. وارجلان
2. غدامس
3. فزان (جبل نفوسة)
4. جرمة
5. سبها
6. زويلة
7. ودّان
8. جالو (جادو)
9. بئر ابن المكسّر
10. تبارا
11. دير النصارى
12. الإسكندرية
13. القاهرة
14. القلزم ـ البحر الأحمر ـ.
15. حسمى
16. أيلة (ايلات)
17. الحوراء
18. ينبع
19. العقيق
20. ذو الحليفة (ميقات أهل المدينة)
21. يثرب (الدينة المنوّرة)
22. بدر
23. البزواء
24. جحفة
25. عسفان
26. مكة المكرّمة (الكعبة)
27. جدّة (الميناء)

(———) مسلك المصعبي في مقصده للحج

الملحق رقم (5):مسلك المصعبي في أداءمناسك الحج ومسلك العودة إلى وطنه

* الشكل (-.-.-.-): مسلكه في أداء مناسك الحجّ.

1.ينبع
2.ذو الحليفة
3.يثرب
4.العقيق
5.بدر
6. البزواء
7.الجحفة
8.عسفان
9.مكة
10.عرفات(جبل)
11.مزدلفة(جُمَع)
12.واد المحسّر
13.منى
14.جدّة (الميناء)

* الشكل(- - - - -):مسلك المُصعبي عائـــداً إلى وطنه.

1.جدّة
2.بحر القلزم (البحر الأحمر)
3.البجا
4.قوص
5.نفط
6.أخميم
7.أسيوط
8.أشمونين
9.نهبَسا
10.طَنبَدا
11.منية القائد
12.كرم شريك
13.بحيرة الإسكندرية
14.دير النّصارى
15.العُقَـــاب
16.لُبْنَة
17.رُمَّـــادة
18.شِماس
19.بئر ابن المكسر
20.تبارا
21.أَوْجلة
22.سَنْتِرية
23.قصر زلة (زويلة)
24.وُدّان
25.جبل الهاروج
26.تمزا (تمسا)
27.دَرَج
28.غَدَامِس
29.وَارِجْلان

الملحق رقم (6): نسخة من رحلة المصعي المخطوطة

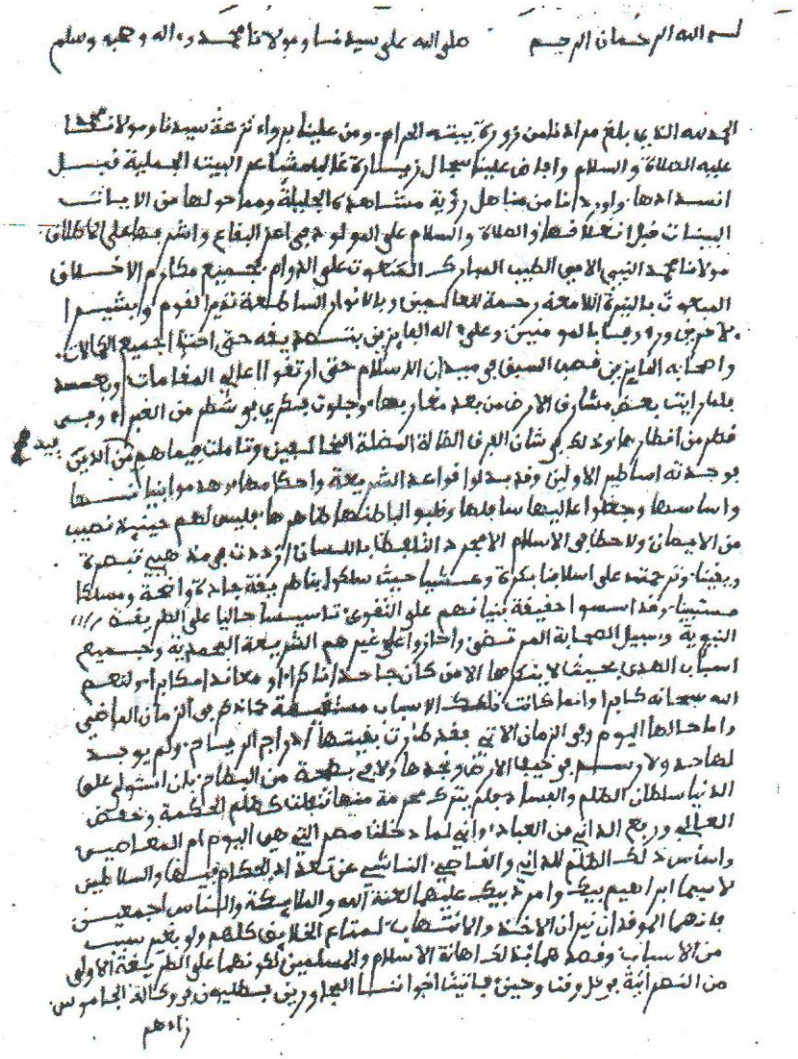

الورقة الأولى من الرحلة الحجازية للمُصعبي.

الملحق رقم (7) نسخة من رحلة المصعبي المخطوطة

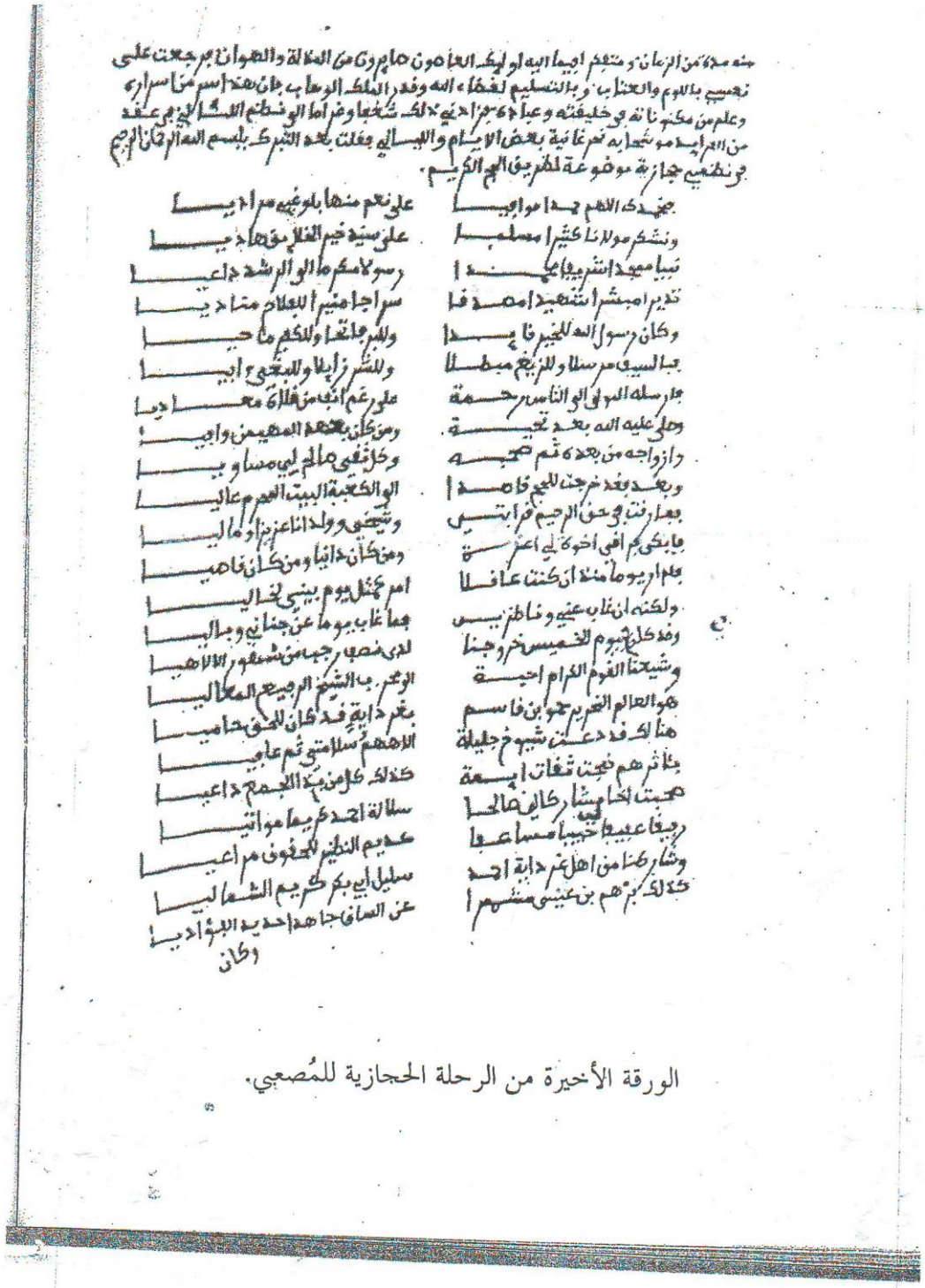

الورقة الأخيرة من الرحلة الحجازية للمُصعبي.

الملحق رقم (8) قصيدة ابن مسايب "ياورشان أقصدطيبة"

(نص)

قصيدة يا الورشان اقصد طيبة

يـــا الورشـــان أقصـــد طيبَـــة وســـلم عـــلى الســـاكن فيهـــا

***

يـــا الورشـــان اقصـــد طيبـــه وزروا فقـــد مرســـم شـــيبه
تخـــم في أمـــر الغيبَـــة ولا تحـــدث نفســـك بهـــا

***

[illegible] صلى الله وعليـــت
ذي الوصـــاية بهـــا نوصـــيك خـــذها وآنهـــل فيهـــا

***

نرســـلك مـــن بـــاب تلمســـان سر في حفـــظ الله مأمـــان
بعـــد مـــا تـــزور بـــلا تمنـــان كـــل مـــا مـــن صـــالح فيهـــا

***

زر قطـــبَ العِبَـــاد وزِدْ للســـنوسي مـــولى التوحيـــد
لا تخلـــف مـــن أهـــل الله ســـيد كلهـــا جملـــة واحْصِـــهَا

***

قـــل لهـــم يـــا جمـــع الصـــلاح مـــا ملكـــت صْـــبَرْ عقّـــلي راح
حَيـــتكم فيـــدوني نرتـــاح وارســـلوني في ســـاعة ليهـــا

***

اقطـــع المشرـــع وتهـــدب وبـــت مـــن ثـــم لا تلهـــف
زر ســـيدي أحمـــد بـــن يوســـف وبـــت مليانـــة داخلهـــا

***

قـــم قبـــل طلـــوع الغـــرّار واوعـــد المـــدفون في زكّـــار
زر وادخـــل عنـــده الـــدار وعدتـــه لا بـــد تعطيهـــا

***

قـــم يـــا طـــير امـــش عجـــلان بـــاش تخـــرج لبـــو حلـــوان
بـــت مكـــروم عـــلى الأمـــان عنـــد نـــاس بـــلادك فيهـــا

***

قـــم قبـــل الفجـــر وبكّـــر بـــاش تخـــرج ســـاعَ لـــوَاجَر
شَـــفّ متيجـــة واســـتخبر البليـــدة بيّـــت فيهـــا

***

زَرْ مَـــولَى ســـاكة نوصـــيك طِـــرْ مـــن ثَـــمَّ لبـــو فريـــك
اعمـــل الـــدرك عـــلى جنحيـــك تبـــات بَلَـــد الجـــير نراهـــا

***

بنـــت زاهـــي وأصـــبح مسرـــور بَـــيْنَ مـــآو منـــازه وقصـــور
خـــذ وعـــدة ســـيدي منصـــور قَبَـــل ألا تـــدخل هيِّهـــا

***

قـــمْ كـــي تنحـــل البيـــان للجزائـــر داخـــل فرحـــان
زر ســـيدي عبـــد الـــرحمن بركتـــه ينفعنـــا بهـــا

***

ليلـــة الجمعـــة اطلـــع للشـــيخ ترســـلك وإذا كنـــت صريـــخ
تـــوَرّخ منازلهـــا تَـــوْريخ واعـــرف الـــدار ارجـــع ليهـــا

***

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

1. **المصادرالعربية**

أبو يعقوب يوسف الورجلاني؛ رحلة الورجلاني، تحقيق. يحي بن بهون حاج أمُحَّد ،العطف- غرداية.

2. أحمد المقري؛ **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ترجمة. إحسان عباس، مج1

3. الأغواطي الحاج بن الدين؛ **رحلة الاغواطي الحاج بن الدين في شمال أفريقيا والسودا والدرعية**،تح.أبو القاسم سعد الله.

4. الغساني مُحَّد الأندلسي؛ **رحلة الوزير في إفتكاك الأسير (1690- 1697)**، جمع وتحقيق. نوري الجراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،الطبعة الأولى، بيروت ، 2002 .

5. المصعبي ابراهيم بن حمان المصعبي بن أبي مُحَّد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني؛ **رحلة المصعبي** ،تحقيق، يحي بن بهون حاج امُحَّد، غرداية – الجزائر، 2006.

- المنداسي سعيد ؛ **ديوان سعيد المنداسي** ،تحقيق. مُحَّد بكوشة ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

6. الطاهري الإدريسي مولاي أحمد الحسني؛ نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء والثقات،مطبعة سالي للنشر،أدرار- الجزائر،2010.

7. الورثلاني الحسين بن مُحَّد؛ **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، مجلد الأول، الجزائر.

8. السجلماسي؛ **رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1114هـ –1175هـ)** ،تحقيق. بن علي مُحَمَّد بوزيان،تقديم. بوحسن أحمد ، مطبعة الجسور، الرباط ، الطبعة الأولى، 2012.

9. الناصري مُحَمَّد أبو راس؛ **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " حياة آبي راس الذاتية"**، تحقيق. مُحَمَّد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1990.

10. ابن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله؛ **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**،تقديم مُحَمَّد السويدي،عاصمة الثقافة العربية،2007 .

11. إبن مسايب؛ **ديوان إبن مسايب**، جمع وتقديم. مُحَمَّد ين الحاج الغوشي بخوشة، نشر ابن خلدون، تلمسان– الجزائر، دون تاريخ.

12. الفكون عبد الكريم؛ **منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولايه**، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،الطبعة الأولى،1987 .

13. بن حمادوش عبد الرواق؛ رحلة ابن حمادوش، تحقيق، أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الاسلامي،بيروت،الطبعة الأولى، 2005.

14. بن هطال أحمد التلمساني؛رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائري (1785م)، تحقيق وتقديم، مُحَمَّد بن عبد الكريم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004 .

15. قاضي مُحَمَّد؛ **الكنز المكنون في الشعر الملحون**،ترجمة، أحمد فتحي دلاي، عاصمة الثقافة العربية.

المصادر المعربة:

16. تيدنا؛ **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجا)**، دار الهدى للنشر.

17. أفوقاي أحمد بن قاسم الحجري ؛ **رحلة أفوقاي الاندلسي مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحبة (1611– 1683م)**،ترجمة وتحقيق ،مُحَمَّد زروق ، المؤسسة العربية للنشر، الطبعة الأولى، 2004 .

المراجع بالعربية :

18. المدني أحمد توفيق ؛**حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492هـ–1792م)**، عالم المعرفة للنشر،الجزائر،المجلد الخامس ،2010 .

19. الزيدي مفيد ؛ **منهج البحث التاريخي**، دار المناهج للنشر، دون طبعة، الأردن ،دون تاريخ.

20. العربي دحو؛ **مقاربات في الشعر الشعبي العربي في الجزائر**،موفم للنشر، الجزائر، 2007 .

21. الجيلالي عبد الرحمان بن مُحَمَّد؛ تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة للنشر ،بيروت ، لبنان، الطبعة الثالثة، 1980.

22. ايراهيم عبد الرحمان خليل؛ **دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، دون تاريخ.

23. بالعالم مُحَمَّد باي ؛ **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، أدرار – الجزائر الجزء الثاني، 2005 .

24. بن المختار عبد السلام؛**المناظرات والإنشادات في رحلات المغاربة الحجازية**،بحث مقدم في جامعة عبد المالك السعدي،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية، 1426هـ .

25. بن الشيخ التلي؛ **منطلاقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**،المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1999.

26. بوعزيز يحي؛ **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة** ،**عالم** المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزء الثاني، 2009 .

27. **الموجز في تاريخ الجزائر1–2 القديمة والوسيطة والحديثة** ،دار البصائر للنشر،الجزائر

28. بوعبدلي المهدي ؛ **الحياة الثقافية بالجزائر،جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن (10 –13 هـ)**، الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل ،جمع وتقديم، ذيب عبد الرحمان، دار المعرفة للنشر ، الجزائر .

29. **ترجمة الشيخ المهدي بوعبدلي ويليه قسم التراجم** ، تقديم، عبد الرحمان ذيب؛ دار المعرفة للنشر، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

30. **التعريف بالكتب والمخطوطات الرحلات**،جمع وتحقيق،عبد الرحمان ذيب، عالم المعرفة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2012 .

31. بوسليم صالح؛ **ملامح جزائرية رسمتها بعض كتب الرحالة المغاربة خلال العهد العثماني**، مداخلة في الملتقى الوطني حول أدب الرحلة ودوره في الكتابة التاريخية، جامعة غرداية، (غير منشورة)، يوم17 /03 /2013.

32. زيادة نقولا؛ **الجغرافية والرحلات عند العرب**،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت،1962.

33. سعد الله أبو القاسم؛ **تاريخ الجزائر الثقافي (1500هـ– 1830م)**،دار البصائر، الجزائر، الجزء الثاني، 2007

- **تاريخ الجزائر الثقافي (1500هـ– 1830م)**، دار البصائر، الجزائر، الجزء الأول، 2007.

- **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**،دار الرائد، الجزائر، الجزء الأول الطبعة خاصة، 2009 .

- **أبحاث وراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر للنشر الجزائر، الجزء الثاني،2007.

- **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**، عالم المعرفة للنشر، الجزائر،2005 .

34. سعيدوني ناصر الدين؛ **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين** ، البصائر للنشر،الجزائر،دون تاريخ .

- **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، الجزء الثاني، 1988 .

- **دراسات أندلسية مظاهر التاثير الإبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دار البصائر للنشر، الجزائر ،الطبعة الثانية، دون تاريخ.

- **تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية (الجزائر تونس طرابلس)**، البصائر للنشر، الجزائر ،الطبعة الثانية ،2013.

35. النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792– 1830 م) ويليه قانون أسواق مدينة الجزائر لمتولي السوق عبد الله بن مُحَمَّد شويهد.

36. شاكر محمود؛ **التاريخ الإسلامي العهد العثماني**، المكتب الإسلامي، بيروت ،الطبعة الرابعة، 2000.

37. كروم عبد الله؛ **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دحلب للنشر،الجزائر، ،2007 .

38. فوزي مصمودي ؛ ت**لمسان بعيون عربية (الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء والعرب)**، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2011.

39. فهيم حسين مُحَمَّد؛ **أدب الرحلات**، عالم المعرفة للنشر، الكويت، 1990.

40. نواب عواطف مُحَمَّد يوسف، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين (7– 8 هـ)**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، دون تاريخ.

41. هلالي حنيفي؛ **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى الجزائر، الطبعة الأولى، 2008.

الموسوعات والمعاجم:

42. ابن منظور، **لسان العرب**،تقديم،عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط ،دار لسان العرب،بيروت – لبنان، دون تاريخ.

43. عيسى الحسن؛ **موسوعة الحضارات**، الأهلية للنشر ، لبنان- بيروت،الطبعة الأولى، 2007.

44. البستاني بطرس ؛**دائرة المعارف**، المجلد الثامن،مطبعة المعارف ، بيروت – لبنان ،دون تاريخ.

45. إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون ؛ **معجم أعلام الإباضية من خلال تراجم العشرين ألف عالم من أعلام المغرب الإسلامي من القرن الأول اله**

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

الإهداء
شكر وتقدير
الملخص
قائمة المختصرات
مقدمة ..... أ–و
الفصل تمهيدي: أدب الرحلات في الجزائر خلال العهد العثماني
المبحث الأول: مفهوم أدب الرحلة 8
أولا: تعريف الرحلة 8
ثانيا: تعريف أدب الرحلة..... 9
المبحث الثاني: تطور أدب الرحلة 11
أولا: الرحلة في القديم..... 11
ثانيا: الرحلة في العصور الإسلامية 11
ثالثا: الرحلة في الفترة الحديثة..... 13
المبحث الثالث: أنواع الرحلات 15
أولا: الرحالات الحجازية 15
ثانيا: الرحلات العلمية..... 16
ثالثا: الرحلات السياسية..... 18
رابعا: الرحلات الاستطلاعية 19
الفصل الأول: نماذج من الرحلات في الجزائر خلال العهد العثماني
المبحث الأول: الرحلات الداخلية..... 22
أولا: رحلة مُحَمَّد الكبير باي الغرب الجزائري (1200هـ/1785م)..... 22
ثانيا: رحلة ابن الدين الأغواطي (1242هـ/1826م)..... 24
ثالثا: رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس التينيلاني (ت1233هـ/1817م) ... 26

المبحث الثاني: الرحلات الخارجية 30
أولا: رحلة المقري (1009هـ-1051هـ/1601-1632م) 30
ثانيا: رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1114-1175هـ/1702-1761م).... 35
ثالثا: رحلة أبي راس الناصري (1226-1227هـ/1811-1812م) 40
الفصل الثاني: الرحلات النظمية من خلال الشعر الفصيح
المبحث الأول: الشعر الفصيح ومجالاته الاجتماعية 44
أولا: الحياة السياسية من خلال الشعر الفصيح 44
ثانيا: الحياة الدينية والاجتماعية من خلال الشعر الفصيح 48
المبحث الثاني: رحلة عبد الرحمان المجاجي (ق11هـ/17م) 50
أولا: التعريف بالمجاجي 50
ثانيا: تفاصيل رحلة عبد الرحمان المجاجي..... 51
ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة المجاحي عبد الرحمان..... 55
المبحث الثالث: رحلة ابراهيم بحمان المصعبي (1196-12321هـ/17811-1817م) 58
أولا: تعريف بالمصعبي 58
ثانيا: تفاصيل رحلة المصعبي 60
ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة إبراهيم بحمان المصعبي..... 62
الفصل الثالث: الرحلات النظمية من خلال الشعر الملحون
المبحث الأول: الشعر الملحون ومجالاته الشعرية في الجزائر الفترة العثمانية..... 66
أولا: تعريف الشعر الشعبي (الملحون) وعوامل ظهوره 66
ثانيا: مجالات الشعر الشعبي في الجزائر خلال العهد العثماني 68
المبحث الثاني: رحلة أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي (ت1088هـ/1677م) 76
أولا: التعريف بالمنداسي..... 76
ثانيا: تعريف برحلة سعيد المنداسي..... 77
ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة سعيد المنداسي 79
المبحث الثالث: رحلة أبو عبد الله بن مسايب التلمساني (ت 1190هـ/1776م) 81
أولا: تعريف بأبو عبد الله بن مسايب..... 81

ثانيا: التعريف برحلة أبو عبد الله بن مسايب.....82
ثالثا: الفوائد الإخبارية لرحلة بأبو عبد الله بن مسايب 84
الخاتمة 88
الملاحق.....92

الفهـــارس

قائمة المصادر والمراجع 103
فهرس الموضوعات 112